
صناعة الكتابة
قواعد مهمة وتوجيهات نافعة



اسم الكتاب: صناعة الكتاب ، قواعد مهمة وتوجيهات نافعة
تأليف فضيلة الشيخ : فيصل الحاشدي
رقم الإيداع: ٩٨٦٨ /٢٠٢٢.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٩٠ .
القياس: ١٧x٢٤.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ /هاني صالح .

٢٠٢٢



الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦
المبيعات
دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢
E-mail dar_aleman@hotmail.com

فرعنا في الجمهورية اليمنية
دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥



قواعد مهمة وتوجيهات نافعة

تأليف أبي عبد الله

فيصل بن عبده قائد الحاشدي

حفظه الله







ما زلتَ تكتبُ في التاريخِ مُجتَهِدًا حتّى رأيتُكَ في التاريخِ مكتوبا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين.

أما بعدُ:

طلبَ مني إخوةٌ - يُحْسِنون بي الظَّنَّ -، أن أكتبَ رسالةً توضِّحُ سُبُلَ الكتابةِ، فأجبْتُهُم إلى طلبِهم، ولسانُ حالي «مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَلٌ» فلا أَحَقُّ بالإسعافِ والإنصافِ من طُلَّابِ العلم!

وهَا هي الرسالةُ بين يديكَ سَمَّيْتُها: «صناعةَ الكتابةِ»، تأنَّقْتُ، وانتقيتُ، وسهَّلْتُ، وتلطَّفْتُ، وهذَّبْتُ.

ولما كان أحوجُ الناسِ إلى هذه الصناعةِ طلبةَ العلمِ وأهلُهُ تَضَمَّنَتْ الرسالةُ بعدَ تمهيدٍ على بابين:

أولهُما: في بيانِ صناعةِ الكتابة وهو بيتُ القصيدِ.

وثانيهما: مُهِمَّاتٌ في تأليفِ الكُتُبِ العلميةِ، وهو مربَطُ الفَرَسِ.

وأسألُ اللهَ أن يتقبَّلَها بقبولٍ حَسَنٍ، وأَنْ ينفعَ بها طلبةَ العلمِ المنتظرين من يفجِّرُ لديهمُ الطَّاقاتِ، وَأَنْ لا يَحْرِمَ الأمَّةَ من الإبداعاتِ إِنَّ ربي سميعُ الدعاءِ.

وكتبها/ أبو عبدِ اللهِ

فيصلُ بن عبده قائد الحاشديُّ

١١ ربيعُ الثاني ١٤٤١

تمهيد
تعريفُ الكتابةِ

إنَّ الكتابــــة مــــرآةٌ لصـــــاحبها   فكلَّمـا خـاض فيهـا بـانَ واتَّضـحَا
فــاخترْ لنفسِــكَ مــرآةً نــراك بهــا   إنَّ الإنــاءَ بمــا أودعْتَــهُ نَضَــحَا[١]

الكتابةُ لُغَةً:

مَصْدَرُ كَتَبَ يَكْتُبُ كتابًا وكَتْبَةً فهو كاتبٌ ومعناها الجمع[٢]، قال ابنُ خَلدونَ: «الكتابةُ رسومٌ وأشكالٌ حَرْفِيَّةٌ تدلُّ على الكلمةِ المسموعةِ الدالةِ على ما في النفسِ»[٣].

وقال ابنُ العربيِّ: «وقَدْ تُطْلَقُ الكتابةُ على العلمِ ومنه قولُهُ تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾» [الطور: ٤١] أي: يَعْلَمُون[٤].

الكتابةُ اصْطِلاحًا:

يسمى الإنشاء بالتعبير كما يُطْلَقُ على الكتابةِ فَنُّ الإنشاءِ قال الجرجانيُّ: «بِأَنَّها عبارةٌ عن إنشاءِ النَّثْرِ كما الشعرُ عبارةٌ عن إنشاءِ النظمِ»[٥].

٢- هل للكتابةِ قواعدُ؟

---

(١) قَالَه أُسْتَاذُنَا: عبد الكريم العمادِ – حفظهُ اللهُ –.
(٢)صبحُ الأَعْشَى (٨١).
(٣) «مقدمةُ ابنِ خلدون» (٨٧).
(٤) صبحُ الأَعْشَى (٥١).
(٥) التعريفاتُ (١٨٤).

ألا إِنَّمـــا العليـــا قواعـــدُ ســـؤدَدٍ لــك اللهُ أرســاها فمــن ذا يُزيلُهــا[1]

الكتابةُ سهلةٌ يسيرةٌ، لمن يسَّرَ اللهُ عليه، فهي تختلفُ عن غيرِها من الفنونِ التي لها قواعدُ وضوابطُ، وإنما تحتاجُ إلى توجيهاتٍ، وتنبيهاتٍ تجعلُها «بين الخُلَّبِ والكَبَدِ»[2].

قال محمدُ الحَمْدُ: «صناعةُ الكتابةِ ليسَتْ كغيرِها من الفنونِ لها قواعِدُها المضبوطةُ، ومسائِلُها المدوَّنةُ يتدارسُها الكُتَّابُ، فتنتهي بهم إلى إمدادِ اليراعةِ بالبراعةِ».

وإنما هي تنبيهاتٌ ترشِدُ إلى الجهاتِ التي تنمو بها قوى التَّفَنُّنِ في تصاريفِ الألفاظِ، والتأنُّقِ في تحسينِ هيئاتِها التأليفيةِ»[3].

٣- هل الكتابةُ موهبةٌ؟

ومـــا لـــي لا أُحَيِّيْـــهِ وعنـــدي مواهـــبُ يطَّلِعْـــنَ مـــن النجـــاد[4]

ما من شَكٍّ أَنَّ الكتابةَ، عادةٌ تُكْتَسَبُ بالممارسةِ مَثَلُها مَثَلُ أي عادةٍ أخرى، وإذا كان بعضُ كبارِ الكُتَّابِ قال: إنها موهبةٌ؛ فَإِنَّ أغلَبَهم يقولُ بِأَنَّ الموهبةَ في الكتابةِ لا تُمَثِّلُ إلا جُزءًا من عشرةِ أجزاءٍ؛ وأما التسعةُ الأجزاءُ الأخرى فتتمثَّلُ في ممارسةِ الكتابةِ نَفْسِها في صَبْرٍ لا يعرفُ المَلَلَ.

---

(١) ديوانُ حيدرِ الحليِّ (٨٣٩).

(٢) «الخُلَّبُ» لحَمَةٌ لاصقةٌ بالكَبِدِ، والمثَلُ يُضْرَبُ للاهتمامِ بالشيءِ وفَهْمِهِ.

(٣) الارتقاءُ بالكتابةِ (٢).

(٤) أشعارُ الشعراءِ السِّتَّةِ الجاهليينَ (٩٤).

كما تحتاجُ - فقطْ - إلى بعضِ الاجتهادِ والبَذْلِ والهمةِ؛ وها أنا أسوقُ لَكَ ما يعينُك على صناعةِ الكتابةِ.

٤- فوائدُ صناعةِ الكتابةِ:

فَدُونَكَها تَحْوِي فوائِدَ جَمَّةً من العلمِ قد لا يَحْتَوِيها المُطَوَّلُ

١ - إنَّ الكتابةَ إذا دَخَلَتْها الصنعةُ صارَتْ مقبولةً من كُلِّ أَحَدٍ.

واللهُ ﷻ ذَكَرَ جميلَ بلائِهِ في تعليمِ البيانِ، وعظَيمَ نعمتِهِ في تقويمِ اللسانِ فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن:١-٤].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

ومَدَحَ القرآنَ بالبيانِ والإفصاحِ، وبِحُسْنِ التفصيلِ والإيضاحِ، وبِجَوْدَةِ الإفهامِ، وحكمةِ الإبلاغِ، وسَمَّاهُ فُرْقانًا كما سَمَّاهُ قُرآنًا.

وقال: ﴿عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣][١].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ قَدِمَ رجلان من المَشْرِقِ فَخَطَبَا فَعَجِبَ الناسُ لبيانِهِما، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ من البيانِ لَسِحْرًا، أو إنَّ بعضَ البيانِ لَسِحْرٌ**»»[٢].

قال أبو عُبيدٍ: «كأَنَّ المعنى - واللهُ أعلمُ - أَنَّهُ يَبْلُغُ من ثنائِهِ أنه يَمْدَحُ الإنسانَ

---

(١) انظر: «البيانَ والتبيينَ» (١/ ٣٢).

(٢) رواهُ البخاريُّ (٥٧٦٧).

فَيَصْدُقُ فيه حتى يصرِفَ القلوبَ إلى قولِهِ: ثم يذُمُّهُ فيَصْدُقُ فيه حتى يصرِفَ القلوبَ إلى قولِهِ الآخَرِ: فكأَنَّهُ قد سَحَرَ السامعين بذلِكَ»[١].

وقال عُمَرُ بنُ عبد العزيزِ رَحِمَهُ اللهُ لِرَجُلٍ أَحْسَنَ في طَلَبِ حاجة وتأتَّى لها بكلامٍ وجيزٍ، ومنطقٍ حَسَنٍ: «هذا واللهِ السِّحْرُ الحَلالُ وقَضَى حاجَتَهُ»[٢].

نَطَقْتَ بسحرٍ بعدها غَيْرَ أَنَّهُ ... من السِّحْرِ ما لَمْ يُخْتَلَفْ في حلالِهِ
كذاكَ ابنُ سيرينٍ بِنَفْثَةِ يوسُفٍ ... تَكلَّمَ في الرؤيا بِمِثْلِ مَقالِهِ[٣]

٢ - إنَّ الكتابةَ إذا دَخَلَتْها الصَّنْعَةُ فإنها تزيدُ الحَقَّ وضوحًا والمعنى بيانًا.

في زُخرُفِ القولِ تزيينٌ لباطِلِهِ ... والحقُّ قد يَعْتَرِيْهِ سوءُ تعبيرِ
تقولُ هذا مُجاجُ النَّحلِ تَمْدَحُهُ ... وإنْ ذَمَمْتَ فقُلْ قيْءُ الزنابيرِ
مَدْحًا وذمًّا وما جاوَزْتَ وصْفَهُما ... سحرُ البيانِ يُرِي الظلماءَ كالنورِ[٤]

٣ - إن الكتابةَ إذا دَخَلَتْها الصنعةُ كانت أشدَّ اتِّصالًا بالقلوبِ وأخَفَّ على الأفواهِ؛ لأنَّها تُؤَثِّرُ في الوجدانِ والعواطِفِ بجانِبِ ما تُؤَثِّرُ في العقولِ، وتَخْلِبُ ألبابَ الرجالِ.

أتاني كتابٌ من خَلوبٍ وصَدْرُهُ ... عليك سلامٌ ما حلا الرق لامعَهْ

(١) البحثُ العروضيُّ والبلاغيُّ في لسانِ العربِ (٢١١).
(٢) البُخَلاءُ للجاحِظِ (٢٢٩)، وزهرةُ الأَكَمِ (١/ ٤٧).
(٣) ديوانُ التهامي (١٧٥).
(٤) ديوانُ ابنِ الروميِّ (٢٢٦٩).

شـــكا مـــا بـــهِ مـــن شـــوقه في كتابـــهِ وأكثـــرُ منـــه مـــا تُجـــنُّ أضَـــالِعُهْ
فَظَـــلَّ يُنـــاجيني الكتـــابُ كأنَّمـــا تُحـــرِّكُ لـــي حَـــرْفَ الكتـــابِ أصـــابِعُهْ[١]

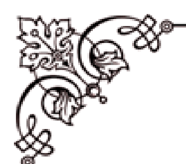
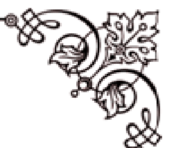
وخُلاصَةُ القولِ: أَنَّ الكتابةَ شريفةٌ من وُجوهٍ كثيرةٍ، فإذا دخلتها الصناعة ازدادت شرفًا.

قال ابنُ خلدونَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهي – أي الكتابةُ – تَطَّلِعُ على ما في الضمائِرِ وتَتَأَدَّى بها الأغراضُ إلى البَلَدِ البعيدِ، فَتُقْضَى الحاجاتُ، وقد دَفَعَتْ مؤونةَ المباشرةِ لها، ويُطَّلَعُ بها على العلومِ، والمعارِفِ، وصُحُفِ الأَوَّلين، وما كتبوه من علومِهم، وأخبارِهم؛ فهي شريفةٌ بهذه الوجوهِ والمنافِعِ»[٢].

---

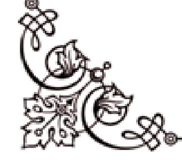
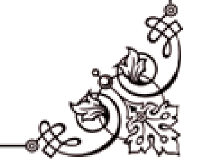
(١) ديوانُ ابنِ الأَحْنَفِ (١٥٧).

(٢) مقدمةُ ابنِ خَلدونَ (٨٧).

البابُ الأَوَّلُ

الوسائلُ والأُسُسُ المعينةُ على صناعةِ الكتابةِ

الفَصْلُ الأَوَّلُ
تَلَقِّي ودراسةُ أَهَمِّ علومِ اللغةِ العربيةِ

وهذا الفَصْلُ مما يُعينُ على صناعةِ الكتابةِ بل هو مفتاحُها الذي تَنْفَتِحُ به أَبَوابُ هذه الصناعةِ:

المبحث الأول: ذكر أهم علوم العربية

وأَهَمُّ علومِ العربيةِ ما يأتي:

١- علم النحو والصرف:

إذا شَـرَحوا فضـلَ العلـومِ فَـإِنَّني غنيٌّ بفضـلِ النحوِ عـنْ ذلـكَ الشَّـرْحِ

علمُ النحوِ والصرفِ للكاتِبِ كآلةِ الحَرْثِ للأرضِ فَمَنْ رامَ الكتابةَ دون أَنْ يتمكَّنَ بمهماتِ النحوِ والصرفِ فهو كَمَنْ يَحْرُثُ أرضًا وليسَ معه آلة الحرثِ فَحَرِيٌّ بالكاتِبِ أَنْ يُلِمَّ بعلمِ النحوِ والصرفِ فَإِنَّ اللَّحْنَ في الكتابةِ أقبحُ من الجدري في الوجه!

قال صاحِبُ «صُبْحِ الأعشى»: «فيحتاجُ - أي: الكاتبُ - إلى المعرفةِ بالنحوِ وطُرُقِ الإعرابِ، والأَخْذِ في تعاطي ذلك حتى يجعَلَهُ دَأْبَهُ، ويصيِّرَهُ ديدَنَهُ ليرتسمَ الإعرابُ في فكرِهِ، ويدورَ على لسانِهِ، وينطلقَ به مقالُ قلمِهِ وكَلِمِهِ، ويزولَ به الوَهْمُ عن سَجِيَّتِهِ، ويكونَ على بصيرةٍ من عبارتِهِ. فَإِنَّه إذا أتى من البلاغةِ بأعلى رتبةٍ ولَحَنَ في كلامِهِ، ذهبَتْ محاسِنُ ما أَتَى بِهِ، وانهدمَتْ طبقةُ كلامِهِ وأُلْغِيَ جميعُ ما حَسَّنَهُ، ووقَفَ به عند ما جَهِلَهُ»[١].

---

(١) صبحُ الأعشى (١/ ٢٠٥).

ولقد أحسنَ الذي يقولُ:

النحـوُ يبسـطُ مـن لسـانِ الألكـنِ … والمـرءُ تُكْرِمُـهُ إذا لـم يَلْحَـنِ

وإذا التْمَسْتَ مـن العلـومِ أجلَّهـا … فأجلُّهـا حَقًّـا مقـيمُ الألْسُـنِ[1]

٢- معرفةُ البلاغةِ:

كـأنَّ المعـاني في فصـاحةِ لفظِهـا … نجـومُ الثريـا أو خلائِقُـكَ الزُّهْـرُ[2]

فلا غِنَى للكاتِبِ عن علمِ البلاغةِ، فهو علمٌ جليلٌ يَنْهَضُ بأسلوبِ الكاتِبِ ويرتقي بفصاحتِهِ وبلاغتِهِ درجاتٍ؛ فيتمكَّنُ من الإتيانِ بالكلامِ الخالي من التعقيدِ، الخالِصِ من تنافُرِ الكلماتِ وضَعْفِ التأليفِ، المُطابِقِ لمقتضَى الحالِ الذي يتمكَّنُ في النفوسِ، ويُعْرَضُ في صورةٍ مقبولةٍ حَسَنَةٍ[3].

كيفَ تحصُلُ على مَلَكَةِ البلاغةِ؟

نطقـتَ بحـقٍّ سـاعَدَتْهُ بلاغـةٌ … وَفي النَّاسِ هادٍ حِيْنَ يَسْرِي وخابِطُ

٣ - معرفةُ قواعِدِ الإملاءِ وعلاماتِ الترقيمِ:

---

(١) التمثيلُ والمحاضرةُ (١٦١). قلتُ: والحق الذي لا يختلف فيه أحد من أهل القبلة أن أجلَّ العلوم هو علم التوحيد.

(٢) الإبانةُ عن سرقةِ المتنبي لفظًا ومعنىً (١٨).

(٣) انظر: الصناعتين للعسكريِّ (١٠)، والإيضاحَ للخطيب القزوينيِّ (١٩).

سَـــأَرْقُمُ في المـــاءِ القـــراحِ إلــيكُمُ ... علــى حــرةٍ لــو كــان للمــاءِ راقــمُ[١]

لا تَغْفَلْ عن الإملاءِ ولا عَنْ علامةِ الترقيمِ لما لهما من شأْنٍ في الكتابةِ؛ فالإملاءُ يقوِّمُ الكتابةَ ويَنْفُخُ منها روحَ المهابةِ والجلالِ، والترقيمُ يَبْعَثُ منها الحُسْنَ والجَمالَ، والقاريءُ يَسْتمتعُ بما يقرأُ كأَنَّ الكاتبَ ماثلٌ أمامَه[٢].

---

(١) ديوانُ ذي الرمةِ (٣/ ١٧٨٧).

(٢) انظرْ كتابي «فنُّ الإملاء وعلامةُ الترقيمِ ففيه ما يكفي ويشفي؛ لِأَنَّه كتابٌ وأستاذٌ في وقتٍ معًا - إن شاءَ اللهِ -».

المبحث الثاني: المران والتدريب على استعمال هذه القواعد

ولَسْتُ بنحويٍّ يلوكُ لِسَانَهُ ... ولكنْ سليقيٌّ أقولُ فأُعْرِبُ

اجْعَلْ الهدفَ من تعلُّمِ النحوِ والصرفِ والبلاغةِ حُصُوْلَ المَلَكَةِ اللسانيةِ أي يصبحُ الكلامُ عندك بالعربيةِ طَبْعًا لا تَكَلُّفًا، ولا تحَصُلُ على الملكةِ اللسانيةِ حتى تَتَكَلَّمَ بالنحوِ ولو مع عَوامِّ الناسِ[1]، ولا تكتبْ سطرًا حتى تُحْكِمَ النحوَ والصَّرْفَ والبلاغة ولو في رسالةٍ خاصَّةٍ تكتبُها لِأَحَدِ أبنائِكَ الصَّغارِ.

قال ابنُ خلدون رَحِمَهُ اللهُ: «تَحْصُلُ هذهِ المَلَكَةُ بالممارسةِ والاعتيادِ والتَّكَرُرِ لِكلامِ العَرَبِ»[2].

وقال: «إنَّ حصولَ ملكةِ اللسانِ العربيِّ إنما هو بكثرةِ الحِفْظِ من كلامِ العربِ، حتى يَرْسِمَ ذلك في خيالِهِ المنوالَ الذي نسجوا عليهِ تراكِيبَهم فَيَنْسُجَ هو عليهِ، وينزلَ بذلِكِ منزلةَ مَنْ نَشَأَ معهم، وخالَط عبارتَهم في كلامِهم، حتى حَصَلَتْ له المَلَكَةُ المُسْتَقِرَّةُ»[3].

---

(١) قَدْ يقولُ قَائلٌ: إنَّ العاميةَ ضرورةٌ لازمةٌ لمخاطبةِ الناسِ على قَدْرِ عقولِهم، والجوابُ: قال فتحي جُمْعَةَ - حفظَهُ الله -: «إنَّ المخاطبةَ على قَدْرِ العقولِ لا يعني تبذُّلَ اللغَّةِ، أو هبوطَ الكلامِ، وانحرافَهُ عن سُنَنِ الفُصَحى، وإنما تعني الابْتعادَ عن تعقيدِ الفكرةِ، والتَّقَعُّرِ في اللغةِ (أي تعمُّد اختيارِ الصَّعْبِ من التراكيبِ، والغريبِ الوحشيِّ من الكلامِ»، أما الجُنُوحُ إلى العاميَّةِ بدعوى إفهام العوامِّ، فإنْ لم يَكُنْ مداراةً للعجزِ عن الفُصْحَى، وقِصَرِ الباعِ في استعمالِها، فهو ادِّعاءٌ يظلمُ الفُصْحَى والعوامَّ في وقتٍ معًا، يظلم الفصحى بأنها غيرُ مفهومةٍ وواللهِ إنَّها لمفهومةٌ، ويظلمُ العوامَّ بأنَّهم لا يفهمون، وتاللهِ إنَّهم ليفهمون، وإلَّا فكيفَ يَخْشَعُونَ للقرآنِ ويتأثَّرون ببالِغِ الموعظَةِ، وجميل البيان».

(٢) مقدمةُ ابنِ خَلدونَ (٥٨١).

(٣) المرجع السابق (٥٨١).

فنفهمُ من خلالِ ما تقدم أن المِرانَ، أَحْسَنُ ما تُقيِّدُهُ المَلَكَةُ في اللسانِ، ومتى أصبحَتْ العربيةُ عندك سليقةً وطبعًا سَلَسَ تعبيرُكَ في وَصْفِ مشاعِرِكَ حُبًّا وعَتَبًا واعْتذارًا ورائعٌ جَذَّابٌ أنتَ في وَصْفِ البروقِ اللامعةِ، والكواكِبِ النَّيِّرةِ والأزهارِ النَّضِرَةِ بعباراتٍ مُتَدَفِّقَةٍ متواصلةٍ، تَمُرُّ كالنسيمِ العليلِ، لا تَوَقُّفَ فيها ولا تَكَلُّفَ، أو كالماءِ الجاري بينَ الصُّخورِ، يَتَمَهَّلُ لِيَظْفَرَ بالمنافِذِ والمسارِبِ.

وللعلمِ رِجالانِ عقلٌ ودَرْسٌ ... وللعِلْمِ عينانِ نحوٌ وصَرْفُ

فكيفَ يجيءُ كسيحٌ وأَعْمَى ... يريدُ الكتابةَ؟! جَهْلٌ وسُخْفُ[1]

وأصولُ البلاغةِ الرئيسةُ في الكلامِ هي:

١- الاستعارةُ.

٢- التشبيهُ، ومحاسِنُ الكلامِ وجميعُ مسائِلِ البلاغةِ ترجِعُ إلى هذين وتتفرَّعُ عنها، وتدورُ حولها[2].

عجبى لِمَنْ جَهِلَ البلاغَةْ ... وأتى يؤلِّفُ في الصياغةْ!!

وأرادَ منكَ شهادةً ... أنَّ المعانيَ مُسْتساغَةْ!![3]

والذي أنصحُكَ به هو أن تكتسِبَ مَلَكَةَ البلاغةِ، ومَلَكَةُ البلاغةِ لا تُكْتَسَبُ بدراسةِ قواعِدِ علمِ البلاغةِ وقوانينِهِ الموجودةِ في الكتبِ المتعلقةِ بهذا العَلْمِ فقط؛

---

(١) قالَهُ أسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -.

(٢) أوصيك بكتابي (تسهيلُ البلاغةِ)؛ فإنَّه كتابٌ كاسْمِهِ، ثم (زبدةُ البلاغةِ) لنصيفِ ثم (البلاغةُ الواضحةُ) لعلي الجارمِ ومصطفى أمين، ثم كتابُ «إعرابُ القرآنِ وبيانُهُ» لدرويش.

(٣) قَالَهُ أُسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -.

وإنما تحصُلُ - أيضًا - بكثرةِ المطالعةِ والممارسةِ لكلامِ العربِ، والتَّفَطُّنِ لوجوهِ التراكيبِ التَّي مِنْه؛ حتى يصيرَ نظمُ الكلامِ بكثرةِ الممارسةِ والتكرارِ مثلَ الطبعِ لدى الشخصِ، فلا يتكلمُ إلا على أساليبِ العربِ البلاغيةِ، ولا يستسيغُ إلا ما كان جاريًّا عليها[١].

وقال ابنُ خلدونَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه المَلَكَةُ - إنما تَحْصُلُ بممارسةِ كلامِ العَرَبِ وتكرُّرِه على السَّمْعِ والتفطُّنِ لخواصِّ تراكيبِهِ، وليستْ تحصُلُ بمعرفةِ القوانينِ العمليَّةِ في ذلك التي اسْتَنْبَطَها أهلُ صِناعُةِ البيانِ، فَإِنَّ هذه القوانينَ إنما تُفِيدُ علمًا بذلك اللسانِ، ولا تفيدُ حصولَ الملكةِ بالفِعلِ في محلِّها، وقد مرَّ ذلك وإذا تقرَّرَ ذلك فَمَلَكَةُ البلاغَةِ في اللسانِ تُهدي البليغَ إلى وجُودِ النظمِ وحُسْنِ التركيبِ الموافِقِ لتراكيبِ العَربِ في لغتِهم ونظمِ كلامِهِم.

ولو رامَ صَاحِبُ هذه الملكةِ حيْدًا عَنْ هذه السبيلِ المعيَّنةِ والتراكيبِ المخصوصةِ، لما قدَرَ عليه ولا وافقَهُ عليه لسانُهُ؛ لأنه لا يعتادُهُ ولا تهديهِ إليه ملكتُهُ الراسخةُ عنده.

وإذا عُرِضَ عليه الكلامُ حائدًا عن أُسلوبِ العربِ وبلاغتِهم في نظمِ كلامِهِم أَعرضَ عنه ومجَّهُ، وعَلِمَ أَنَّه ليس من كلامِ العربِ الذي مارَسَ كلامَهم»[٢].

---

(١) انظر بحثًا عن: «مَلَكَةِ البلاغةِ اكتسابٌ» في موْقِعِ الألوكةِ.

(٢) المقدمةُ (٥٨١ - ٥٨٢).

الفَصلُ الثاني
أسبابُ الارتقاءِ بصناعةِ الكتابةِ

للارتقاءِ بالكتابةِ أسبابٌ هي ما يأتي:

١- الإكثارُ من تلاوةِ القرآنِ الكريمِ وتَدَبُّرِهِ والاعتناءِ بحفظِهِ:

ولا ينفَـــعُ القـــرآنُ دونَ تـــدبُّرٍ كمـا لا يُخاضُ البحرُ إلا على السُّفْنِ[١]

لا أفصحُ من القرآنِ الكريمِ بلاغةً، ولا أعظمُ بيانًا، ولا أكثرُ إفادةً، ولا ألذُّ تلاوةً، مدارسَتُهُ وتعليمُهُ عبادةٌ، لو اجتمعَ الخلائِقُ على أن يأتوا بأقصرِ سورةٍ منه لَعَجَزُوا وهَيْهَاتَ.

قال ابنُ الأثير رَحِمَهُ اللهُ في مَعرِضِ حديثِهِ عمَّا يحتاجُهُ الكاتبُ: «حِفْظُ القرآنِ الكريمِ، والتدرُّبُ باستعمالِهِ، وإدراجُهُ في مطاوي الكلامِ»[٢].

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ - ذاكرًا لهذا الإيصاءِ، ومعتقدًا لهذا الفِعْلِ -: «فإنَّ صاحِبَ هذه الصناعةِ - يعني الكتابةُ - ينبغي له أن يكونَ عارفًا بذلك؛ لِأَنَّ فيه فوائِدَ كثيرةً، منها أنه يُضَمِّنُ كلامَهُ بالآياتِ في أماكِنِها اللائقةِ بها ومواضِعَها المناسبةِ لها.

ولا شُبْهَةَ فيما يصيرُ للكلامِ بذلك من الفخامةِ والجزالةِ والرَّوْنَقِ.

ومنها أنه إذا عرف مواقعَ البلاغةِ وأسرارَ الفصاحةِ المودَعَةَ في تأليفِ القرآنِ اتَّخَذَهُ بَحْرًا يستخرجُ منه الدُّرَرَ والجواهِرَ، ويودعُها مَطَاوِيَ كلامِهِ، كما فَعَلْتُهُ أنا

---

(١) ديوانُ سحنون (٢/ ٢٧).

(٢) المَثَلُ السائِرُ (١/ ٢٩).

فيما أنشأْتُهُ من المكاتباتِ، وكفى بالقرآنِ الكريمِ وَحْدَهُ آلةً وأداةً في استعمالِ أفانينِ الكلامِ؛ فعليك أيُّها المُتَوشِّحُ لهذه الصناعةِ بحفظِهِ، والفَحْصِ عن سِرِّهِ وغامِضِ رموزِهِ وإشاراتِهِ؛ فإنه تجارةٌ لن تبورَ، ومنبعٌ لا يغورُ، وكنزٌ يُرْجَعُ إليه، وذُخْرٌ يُعَوَّلُ عليه»[١].

وقال: «ومن آتاهُ اللهُ في القرآنِ بصيرةً، فإنه يَسْبُكُ ومعانِيَهُ في كلامِهِ، ويستغني به عن غيرِهِ، إلا أنه ينبغي أن يكونَ فيه صَوَّاغًا يُخْرِجُ منه ضروبَ المصوغاتِ، أو صَرَّافًا يتجهَبذُ في نقودِهِ المختلفةِ من الذهَبِ المختلفِ الألوانِ، ولا أقولُ من الفضةِ؛ فإنه ليس فيه من الفِضَّةِ شيءٌ، وهو أعلى من ذلك...

واعلمُ أَنَّ المتصدِّيَ لِحَلِّ معاني القرآنِ يحتاجُ إلى كَثْرَةِ الدَّرْسِ؛ فإنه كلما دِيْمَ - داومَ - على درسِهِ ظَهَرَ من معانيهِ ما لم يَظْهَرْ من قَبْلُ.

وهذا شيءٌ جرَّبْتُهُ وخَبَرْتُهُ؛ فإني كنتُ آخذُ سورَةً من السُّوَرِ وأَتْلوها، وكلما مَرَّ بي معنىً أَثْبَتُّهُ في ورقةٍ مفردةٍ، حتى أنتهيَ إلى آخرِها؛ ثم آخُذُ في حَلِّ تلك المعاني التي أثبَتُّها واحدًا بعد واحدٍ، ولا أقنعُ بذلك حتى أعاوِدَ تلاوةَ تلكَ السُّورةِ، وأفعلُ مثلَ ما فعلْتُهُ أولًا، وكلما صَقَلَتْها التلاوةُ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ، ظهرَ في كلِّ مَرَّةٍ من المعاني ما لَمْ يظهَرْ لي في المرَّةِ التي قَبْلَها[٢]»

وَوَاظِبْ عَلى دَرسِ القُرْآنِ فَإِنَّ في ... تِلَاوَتِهِ الأَرْبَاحَ والشَّرْحَ لِلصَّدْرِ
أَلا إِنَّهُ البَحْرُ المُحِيطُ وَغَيْرُهُ ... مِنْ الكُتْبِ أَنْهَارٌ تُمَدُّ مِنْ البَحْرِ

---

(١) المرجعُ السابقُ (١/ ٤٧).

(٢) المرجعُ السابقُ (١/ ١٢٦ - ١٢٧).

تَــدَبَّر مَعَانِيـــهِ وَرَتِّلْـــهُ خاشــعًا ... تَفُوزُ مِنْ الأسْرَارِ بالكَنزْ والذُّخْرِ[(١)]

٢ - الإكثارُ من مطالعةِ كُتُبِ السُّنَّةِ:

وخُــذْ مِــنْ عُلُــومِ الــدِّيْنِ حظًّــا مُــوَفرًا ... فَبَـالعِلْمِ تَسْـمُوا في الحَيَـاةِ وفي الحَشْـرِ[(٢)]

كتبُ السُّنَّةِ، كالأُمَّهاتِ السِّتِّ، والصِّحاحِ، والمسانيدِ؛ حافلةٌ بِضُروبِ البلاغَةِ، فالنبيُّ ﷺ أفصحُ مَنْ نَطَقَ بالضادِ، وأبلغُ مَنْ أوتيَ جوامِعَ الكَلِمِ، فأروى ببلاغتِهِ كُلَّ قلبٍ صادٍ.

فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ على الأنبيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إلى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[(٣)].

ويكفي في بيانِ روعةِ تعبيرِهِ وبلاغةِ كلامِهِ، وتراكيبِهِ ﷺ ما يقولُهُ الجاحِظُ في كتابِهِ «البيانُ والتبيينُ» من أَنَّهُ «لم يتكلَّمْ إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمةِ، وشُيِّدَ بالتأييدِ ويُسِّرَ بالتوفيقِ، وهو الكلامُ الذي ألقى اللهُ عليه المحبَّةَ وغشاهُ بالقَبولِ، وجَمَعَ له بينَ المهابةِ والحلاوةِ، وبين حُسْنِ الإفهامِ وقِلَّةِ عَدَدِ الكلامِ... لم تسقُطْ له كلمةٌ، ولا زلَّتْ به قَدَمٌ ولا بارَتْ له حُجَّةٌ، ولم يَقُمْ له خَصم...».

له خصْمٌ ولاَأَفْحَمَهْ خطيبٌ، بل يبذُّ الخُطَبَ الطوالَ بالكَلِمِ القِصارِ... ولا يحتجُّ إلا

---

(١) مجموعةُ القصائِدِ الزهدياتِ (١/ ٢٥٦).

(٢) رواهُ مسلمٌ (٥٢٣).

(٣) المرجعُ السَّابقُ (١/ ٢٥٦).

بالصدقِ، ولا يَطْلُبُ الفَلَجُ[١] إلا بالحَقِّ ولا يستعينُ بالخلابةِ... ولم يسمعْ النَّاسُ بكلامٍ قد أَعَمَّ نَفْعًا، ولا أقصدَ لفظًا ولا أعدلَ وَزْنًا، ولا أجملَ مَذْهَبًا ولا أكرمَ مطلبًا، ولا أحسنَ موقِعًا ولا أسهلَ مَخرجًا، ولا أفصح معنى ولا أبينَ في فحوى من كلامِهِ ﷺ[٢].

لكَ في المحافِلِ منطقٌ يشفي الجَوَى ... ويسوغُ في أُذُنِ الأديبِ سُلافُهُ
فكَأَنَّ لفظَكَ لؤلؤٌ مُتَنَخَّلٌ ... وكأنما آذانُنا أصدافُهُ[٣]

وَقَالَ أُسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -:

أَعْلَى الجواهِرِ والنفائِسِ رُتْبَةً ... هي في الكتابِ وسُنَّةِ المختارِ

٣ - العنايةُ بكلامِ فصحاء العرب وبلغائهم:

استنبطَ العُربُ لفظًا وانبرى نَبطٌ ... يخاطبونك من أفواهِ أَعْرابِ[٤]

تَحْصُلُ صناعةُ الكتابةِ للشخْصِ بحِفْظِ كلامِ العَرَبِ القديم وأخبارِهم وأيامهم حتى يصيرَ لَدَيهِ مَلَكَةٌ راسَخةٌ تُنْزِلُه مَنزلةَ مَنْ نشأ مع العربِ.

وينقسم كلامُ العَرَبِ إلى نوعين: منظومٍ ومنثورٍ، فالمنظومُ هو الشِّعْرُ، وأما المنثورُ فهو الخُطَبُ والرسائِلُ والمكاتباتُ والوقائِعُ والأيامُ المشهورةُ ونحوُها.

والعلمُ الذي يعني بكلامِ العربِ القديمِ المنظومِ والمنثورِ هو علمُ الأدبِ، وهو علمٌ ليس له قوانين معينةٌ؛ وإنما المقصودُ منه هو ثمرَتُهُ وهي الإجادةُ في الكتابةِ

---

(١) الفَلَجُ: الفوزُ والظَّفَرُ.
(٢) البيانُ والتبيينُ (٢/ ١٧).
(٣) تَتِمَّةُ اليتيمةِ (٢/ ٣٢٢).
(٤) «ديوانُ أبي العلاء» (١٢).

وتأليفُ الكلامِ؛ ولذلك فهم يُعَرِّفُونه فيقولون: الأَدَبُ هو حِفْظُ أشعارِ العربِ وأخبارِها، وتوجدُ في هذا العلمِ كتبٌ مشهورةٌ هي أركانُ هذا العلمِ؛ مثلُ: البيانِ والتبيينِ للجاحِظِ، والكامِلِ للمبرِّدِ، والأمالي لأبي علي القالي.. ونحوِ ذلكَ[١].

ويجبُ على الكاتِبِ أن يأخُذَ نَفْسَهُ بحِفْظِ أنواعٍ من الكلامِ العربيِّ القديمِ الموجودِ في هذه الكُتُبِ؛ لكي تَنْشَأَ لديهِ مَلَكَةُ الكتابةِ والقدرةِ على صياغةِ الكلامِ والتعبيرِ عن الأفكارِ؛ يقولُ ابنُ خَلدونَ: «وَوَجْهُ التعليمِ لمَنْ يبتغي هذه الملكةَ ويرومُ تحصيلَها، أنْ يأخُذَ نَفْسَهُ بحفظِ كلامهمِ القديمِ الجاري على أساليبِهم من القرآنِ والحديثِ، وكلامِ السَّلَفِ، ومخاطباتِ فُحُولِ العربِ في أسجاعِهِم وأشعارِهم، وكلماتِ المولَّدين أيضًا في سائِرِ فنونِهم، حتى يتنزَّلَ لكثرةِ حفظِهِ لكلامِهم من المنظومِ والمنثورِ منزلةَ مَنْ نَشَأَ بينَهم ولُقِّنَ العبارةَ عن المقاصِدِ منهم، ثم يتصرَّفُ بعد ذلك في التعبيرِ عمَّا في ضميرِهِ على حَسَبِ عباراتِهم، وتأليفِ كلماتِهم، وما وَعَاهُ وحفظَهُ من أساليبِهم، وترتيبِ ألفاظِهم، فَتَحْصُلُ له هذه المَلَكةُ بهذا الحفظِ والاستعمالِ، ويزدادُ بكثرتِهما رسوخًا وقوَّةً»[٢].

ومع ذلك فإنَّ الكاتِبَ عليه أَنْ يختارَ محفوظاتِهِ من الكلامِ العربيِّ القديمِ، فيحفظَ من ذلك الكلامِ الأشعارَ والمنثوراتِ العاليةَ الطَّبَقةِ، ويبتعدَ عن الأنواعِ النازلةِ؛ وذلك حتى يحافِظَ على جودةِ مَلَكَةِ الكتابةِ لَديْهِ؛ يقولُ ابنُ خلدونَ: «قد

---

(١) مقدمةُ ابنِ خلدونَ (٦٢٠ - ٦٢١).

(٢) المرَجِعُ السَّابِقُ (٣٢٧).

قَدَّمْنا أنه لا بُدَّ من كَثرةِ الحفظِ لِمَنْ يرومُ تعلُّمَ اللسانِ العربيِّ، وعلى قدرِ جودةِ المحفوظِ وطبقتِهِ في جِنْسِهِ وكثرتِهِ وقِلَّتِهِ، تكونُ جودةُ المَلَكَةِ الحاصلةِ عنه للحافِظِ، فمَنْ كان محفوظُهُ من أشعارِ العربِ الإسلاميينَ شعرَ حبيبٍ أو العتابيِّ أو ابنِ المِعتزِّ أو ابنِ هانيءٍ أو الشريفِ الرضيِّ، أو رسائلَ ابنِ المَقفَّعِ أو سهلِ بن هارونَ أو ابنِ الزياتِ أو البديعِ أو الصابيءِ، تكونُ مَلَكَتُهُ أجودَ وأعلى مقامًا وَرُتَبةً في البلاغةِ مِمَّنْ يحفَظُ أشعارَ المتأخرينَ؛ مثلِ: شعرِ ابنِ سَهْلٍ أو ابنِ النبيهِ أو تَرَسُّلِ البيسانيِّ أو العمادِ الأصبهانيِّ، لنزولِ طبقةِ هؤلاءِ عن أولئِك، يظهرُ ذلك للبصيرِ الناقِدِ صاحِبِ الذوقِ، وعلى مقدار جودةِ المحفوظِ أو المسموعِ تكونُ جودةُ الاستعمالِ من بعدِهِ، ثم إجادةُ الملكةِ من بعدِهِما، فبارتقاءِ المحفوظِ في طبقتِهِ من الكلامِ ترتقي المَلَكَةُ الحاصلةُ؛ لأنَّ الطبعَ إنما يُنْسَجُ على منوالِها، وتنمو قوى الملكةِ بتغذيتها»[(١)].

أَطَرْسُكَ أَمْ خَدُّ عذراءَ بِكْرِ ... وذا درُّ لفظِكَ أم لَفْظُ دُرِّ

سَحَرْتَ غداةَ فَضَضْتَ الختامَ ... عنه كَأَنْ لفظُهُ نَفْثُ سِحْرِ

وشَكَّكني حُسْنُ تنميقِهِ ... أَوَشْيُ بَنانِكَ أم وَشْيُ زَهْرِ[(٢)]

وَقَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

اِخترْ لنفسِكَ من رحيقِ زهورِهم ... عَذْبَ الجَنَى من مصدرٍ موثوقِ

فَلَهُمْ تراثٌ لا وجودَ لمثلِهِ ... في القَدْرِ والتَّوثيقِ والتَّحقيقِ

---

(١) المَرجِعُ السَّابِقُ (٦٤٧).

(٢) العِقْدُ المُفَصَّلُ (٢٠١ - ٢٠٢).

ويتفرَّعُ عن العنايةِ بكلامِ فُصَحاءِ العَرَبِ وبُلغائِهم ما يأتي:

أ - إدمانُ النَّظَرِ في خُطَبِ العَربِ، وحفظُ ما تَيَسَّرَ منها:

مـــن للمنـــابرِ يرتقِيهـــا صـــائِحًا   في القـومِ صـيحةَ مُصْـقِع مقـوالِ[(١)]

الخُطَبُ خَيْرُ مُعينٍ على صناعةِ الكتابةِ، وقلَّ أَنْ يَنْبُلَ في الكتابةِ مَنْ لم يحفظْ خُطَبَ العربِ أو على الأقلِّ إِدمانَ النظرِ فيها؛ جاءَ في صُبْحِ الأعشى: «وهي من آكدِ ما يحتاجُ إليه الكاتبُ، وذلك أَنَّ الخُطَبَ من مُستودعاتِ سِرِّ البلاغةِ، ومجامع الحِكَمِ، بها تفاخَرَتْ العَرَبُ في مشاهِدِهم، وبها نَطَقَتْ الخلفاءُ والأمراءُ على منابرِهم، بها يتميزُ الكلامُ، ويُخَاطَبُ الخاصُّ والعامُّ، وعلى مِنِوالِ الخطابةِ نُسِجَتْ الكتابةُ، وعلى طريقِ الخطباءِ مَشَتْ الكُتَّابُ»[(٢)].

وقد كانت الخِطابةُ من الفنونِ النادرةِ العاليةِ المرتبةِ في الجاهليةِ والإسلامِ، والتي لا تتأتَّى إلا للخطباء الفصحاءِ في اللغة العربية من ساداتِ العَرَبِ ورؤسائِهم، وكانت تُقالُ في المناسباتِ النادرةِ الكبيرةِ والمحافِلِ العظيمةِ، وذلك بخِلافِ الشِّعْرِ الذي كان يتعاطاهُ الخاصَّةُ والعامةُ منهم لسهولةِ حفظِهِ وشيوعِهِ بينهم[(٣)].

ولا شَكَّ أَنَّ مَنْ يحفظُ الخُطَبَ البليغةَ يجني فوائِدَ جَمَّةً؛ لأنه يَسْهُلُ عليه التعبيرُ عن الأفكارِ، والمعاني بالكلامِ البليغِ، وتفيضُ عليه وَقْتَ الحاجةِ الألفاظُ، والعبارة المناسبةُ، والسهلةُ للمعنى، أو الفكرةِ التي يريدُ التعبيرَ عنها.

---

(١) ديوانُ أحمد محرمٍ (١٠٠).

(٢) «صُبْحُ الأَعْشَى في صناعةِ الإِنشا» للفزاريِّ (١/ ٢١٠).

(٣) المرجعُ السَّابِقُ (١/ ٢١١).

يـــــا ســــــيِّدًا كَلماتُــــــــه شـــــرفُ المهـــــارِقِ والســـــطورِ
للهِ درُّكَ مـــــــــن خطيـــــــــب شــــــاعر نَـــــدْب خطيـــــر
أهـــــديتَ لـــــى دُرَرَ الكـــــلام فَخِلْتُهـــــا دُرَرَ النُّحـــــورِ[١]

ب - معرفةُ أمثالِ العَرَبِ:

بالفَضْـلِ يَحْسُـنُ لَفْـظُ كـلِّ مقـالٍ وبــه تســيرُ غرائِــبُ الأمثــالِ[٢]

حَرِيٌّ بالكاتِبِ أَنْ يكونَ على معرفةٍ بأمثالِ العربِ؛ فالكاتبُ الذي يَضَعُ المَثَلَ من كتابِهِ في موضِعِهِ إنما يُشْبِعُ المعنى ويوضِّحُهُ ويُحَلِّقُ بالقارِئِ إلى أُفُقٍ بعيدٍ يجعلُهُ يعيشُ مع الكتابِ بعقلِهِ وروحِهِ فلا يفارِقُهُ حتى آخِرِ سَطْرٍ منه.

جاء في «صُبْحِ الأَعْشَى»: «اعْلَمْ أَنَّ الكاتِبَ يحتاجُ إلى النظرِ في كتبِ الأمثالِ الواردةِ عن العربِ؛ نثرًا، ونَظْمًا، والنظرِ في الكتبِ المصنَّفَةِ في ذلك: كأمثالِ الميدانيِّ، والمفضَّلِ ابنِ سلمةَ الضبيِّ، وحمزةِ الأصبهانيِّ، وغيرِهم[٣] وكذلك أمثالِ المولَّدينَ الواردةِ في أشعارِهم: كالأمثالِ الواردةِ في شعرِ جريرٍ، والفرزدقِ ونحوِهما[٤] إلى غيرِ ذلك من الأمثالِ الواردةِ نَثْرًا ونظمًا، والنظرِ في أمثالِ المُحْدَثِين الواردةِ في أشعارِهم: كأبي العتاهيةِ، وأبي تمَّامَ، والمتنبي؛ فحكمُ ما وَرَدَ من الأمثالِ في شعرِ المولَّدينَ والمُحْدَثينَ حكمُ أمثالِ العربِ الشعريةِ؛ أمَّا في شعرِ المولَّدين فَلِجَرْيِهِمْ على أسلوبِ العَرَبِ»[٥].

---

(١) ديوانُ ابنِ معصومٍ (١٦١).

(٢) الأوراقُ (١/ ٢١).

(٣)انظر كتابي (أمثالُ النبلاءِ) فإنك واجدٌ فيه ما يملأُ الصدرَ والنَّحْرَ - إن شاءَ اللهُ -.

(٤) انظر كتابي (منتقى الأشعارِ) فيه أشعارٌ رائقةٌ كالشَّهْدِ ترتقي بذوقِكَ وكلماتِك - إن شاءَ اللهُ -.

(٥) صبحُ الأَعْشَى (١/ ٣٤٦ - ٣٤٧).

وقال العسكريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيتُ حاجةَ الشريفِ إلى شيءٍ من أَدَبِ اللِّسانِ بعد سلامتِهِ من اللَّحْنِ كحاجتِهِ إلى الشاهِدِ، والمَثَلِ، والشَّذْرةِ، والكلمةِ السائرةِ، فَإنَّ ذلك يزيدُ المَنْطِق تفخيمًا، ويُكْسِبُهُ قبولًا، ويُجْعلُ له قدرًا في النفوسِ، وحلاوةً في الصدور، ويدعُوا القلوبَ إلى وَعَيْهِ، ويَبْعَثُها على حِفْظِهِ، ويأخذُها باستعدادٍ لأوقاتِ المذاكرةِ، والاستظهارِ به أوانَ المجاولةِ في ميدنِ المجادلةِ والمصادلةِ في حلباتِ المقاولةِ.

وإنما هذا الكلامُ كالتفضيلِ في العِقْدِ، والتنويرِ في الرَّوْضِ، والتسهيمِ في البُردِ[1]؛ فينبغي أن يستكْثِرَ من أنواعِهِ؛ لِأَنَّ الإقلالَ منها كاسْمِهِ إقلالٌ، والتقصيرَ في التماسِهِ قُصُورٌ.

وما كان منه مثلًا سائرًا فمعرفَتُهُ أَلْزَمُ؛ لِأَنَّ منفعتَه أعَمُّ، والجَهْلَ بها أقْبَحُ»[2].

وقال عليُّ بنُ هُذَيْلٍ: «وَلَيْسَ يَكْمُلُ أَدَبُ المَرْءِ حتى يَعْرِفَ المَثَلَ السَّائِرَ»[3].

وَأَحْسَنُ ما قِيْلَ في الأمثالِ قولُ طُفيلِ بنِ الأخرمِ:

أَعَاذِلُ إِنَّ الشُّحَّ لايُخْلِدُ الفَتَى ... ولا يُهْلِكُ النفسَ الكريمةَ جودُها

تقولُ سُلَيْمَى قد تغيَّرْتَ بعدَنا ... كذاك صروفُ الدهرِ يَبْلَى جديدُها

وشَيَّبَ رَأْسي قبلَ شيبِ لِدَاتِهِ ... همومٌ وروعاتٌ يشيبُ وليدُها

ومضروبةُ الأمثالِ قومْتُ درءَها ... لذيذٌ بأَفواهِ الرجالِ نَشِيْدُها[1]

---

(١) جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ١٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤).

(٣)عين الأدب لعلي بن هذيل (١٥٩).

جـ - حفظُ ما تَيَسَّرَ من الشّعْرِ الجَيِّدِ:

أيهـا الشِّـعرُ أنـت وَحْـيُ جَنـاني وصَـدَى خـاطِرِي وسِـحْرُ بيـاني[٢]

يوصَفُ الشِّعرُ بِأَنَّهُ ديوانُ العربِ؛ لِأَنَّ فيه تاريخَهم وأخبارَهم وأيامَهم ودُوَلَهم، وفيه لغتَهم وأسالَيبَهم وآدابَهم؛ ولذلك فإنه لا غنى للكاتبِ عن حفظِهِ؛ لتكوينِ مَلَكةِ الكتابةِ لديهِ، وتجويدِها، وهو على أنواعٍ، فمنه شعرُ العربِ في الجاهليةِ، مثلُ: المعلقاتِ، وشعرِالحماسةِ، والفضَّلياتِ، والأصمعياتِ... إلخ، ومنه شعرُ المُوَلَّدينَ من العربِ، وهم الذين كانوا في أَوَّلِ الإسلامِ؛ مثلُ: جريرَ والفرزدقَ والأخطلَ ونحوُهم، ومنهم المُحْدثون؛ مثلُ: أَبِي تمامَ والبحتريِّ والمتنبي ونحوِهم، أما شعرُ العَرَبِ والمولَّدين فلا يَستغني الكاتبُ عن حفظِهِ لما في ذلك من غزارةِ الموادِّ، والأمثالِ، والمعاني المخترعةِ، وأصولِ اللغةِ وشواهِدِها ونوادرِها[٣].

وأما شعرُ المُحْدَثين فيتميَّزُ بالصناعةِ، وتوليدِ المعاني اللطيفةِ، وقربِهِ من الكتابةِ والخطابةِ؛ ولذلك فإنَّ حفظَ هذه الأشعارِ وتدبُّرَ معانيها يُسَهِّلُ على الكاتِبِ عند الحاجةِ استعمالَ ألفاظِها واقتباسِ معانيها[٤].

قَالَ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -:

حَفِظْـتُ مـن الشـعرِ أرقـى القصـيدِ ولـذَا لـيَ المنطِـقُ السَّـاحِرُ

---

(١) الذخائرُ والبصائرُ (٢/ ٤٢).

(٢) ديوانُ محمد العبيد آل خليفة.

(٣) صُبْحُ الأَعْشَى، (١/ ٢٧١).

(٤) المرجِعُ السَّابِقُ (١/ ٢٧٣).

وذابَــــتْ معانيــــه في مُهْجَتــــي لِـــــذاكَ أنــا النــــاثِرُ الشــــاعِرُ

وإذا أَكْثَرَ الكاتبُ من حفظِ الشعرِ، فإنه تتوارَدُ عليه الألفاظُ والمعاني عند حاجتِهِ إلى التعبيرِ عن معنى أو فكرةٍ، فيسهُلُ عليه استعمالُ هذه الألفاظِ للتعبيرِ عنها، ويصوغُ أفكارَهُ في ألفاظٍ رشيقةٍ قريبةِ المأْخَذِ سهلةِ الفَهْمِ.

قال في صُبْحِ الأَعْشَى: «فإنَّ الشِّعْرَ هو المادةُ الثالثةُ للكتابةِ بعد القرآنِ الكريمِ والأحاديثِ النبويَّةِ وخصوصًا أشعارُ العربِ، فإنها ديوانُ أدبهم ومستودَعُ حكمِهم وأنفسُ علومِهم في الجاهِليةِ، فإذا أكثرَ من حفظِ الشعرِ وفَهْمِ معانيه، غَزُرَتْ لديهِ الموادُّ، وترادَفَتْ عليه المعاني، وتوارَدَتْ على فكرِهِ»[1].

ومِنْ أَحْسَنِ ما قيلَ في مَدْحِ الشعرِ قولُ أبي تمامَ:

إن القــوافي والمســاعي لــم تَــزَلْ مثـــلَ النظـــامِ إذا يكـــونُ فريـــدا

هـــي جـــوهرٌ نثـــرٌ فـــإن أَلَّفْتَـــهُ بالشـــعرِ صـــار قلائـــدًا وعقـــودا[2]

ومن أحسنِ ما قيلَ في وَصْفِ الشاعِرِ شِعْرَهُ قولُ بعضِهِم:

شَـغَلَتْكَ عـن حُسْـنِ السـماعِ مـدائحٌ حَسُـنَتْ فمـا تَنْفَـكُّ تُطْـرِبُ سـامعَا

طَلَعَـتْ عليـك أبـا الفـوارسِ أنجـمٌ مــنهنَّ يُخْجِلْــنَ النجــومَ طوالِعَــا

جاءتْـكَ مثـلَ بـدائعِ الوَشْـيِ الـذي مــا زالَ في صــنعاءِ يُتْعِــبُ صــانِعا

أو كــالربيعِ يريــكَ أَخْضَــرَ ناضِــرًا ومُــوَرَّدًا شَــرِقًا وأصــفرَ فاقِعــا[1]

---

(١) المرجعُ السَّابقُ (٢٨١).

(٢) أحسنُ ما سَمِعْتُ (٢٩).

طريقةُ انتقاءِ الأشعارِ:

وَلَمْ تَزَلْ هكذا طريقةُ مَنْ ثقَّفَ أقولَهُ ومن فَرُسا[٢]

قد تحتاجُ إلى بيتٍ من الشعرِ أو أبياتٍ تُزَيِّنُ كلماتِكَ لتكونَ واسطةَ عقدِها يزيدُ النثرَ تألقًا والمعنى وضوحًا فأمامَك ثلاثُ طُرُقٍ:

١- إذا كنتَ تحفظُ الأشعارَ فاختره لكتابِكَ ما يناسبُ الحالَ والمقامَ.

٢- إذا كنتَ تحفظُ الأشعارَ، لكن لِبُعْدِ العَهْدِ نسيتَ، إلا كلمةً أو كلماتٍ متفرقاتٍ، قم بإدخالِ كلمةٍ من تلك الكلماتِ التي تحفَظُها في مُحَرِّكِ البحثِ من «المكتبةِ الشاملةِ» ثم اضغطْ على قِسْمِ: الدواوينِ الشعريةِ فإذا لم تَجِدْ ففي قسمِ: «الأدبِ والشعرِ» فإذا لم تجدْ المطلوبَ اكتبْ كلمةً أُخرى غيرَها مِمَّا تحفَظُ[٣].

٣- إذا لم تحفظْ كلمةً أو كلماتٍ اكتبْ كلمةً من عنوانِ الفصلِ الذي تَبْحَثُ فيه فإذا كنتَ تَبْحَثُ عن «الصبرِ» ادخلْ كلمةَ «الصبرُ» في محركِ البحثِ بالطريقةِ السابقةِ وستجِدُ أشعارًا في الصبرِ فتختارُ منها ما يناسِبُ المقامَ، وهكذا في بقيَّةِ الكتابِ،

---

(١) المرجِعُ السَّابِقُ (٢٩).

(٢) ديوانُ ابنِ الروميِّ (٢٣٣٥).

(٣) تنبيهٌ: تأكَّدْ هل الكتابُ الذي تَنْقُلُ عنه من (الشاملةِ)، أو غيرِها هل هو موافِقٌ للمطبوعِ؛ لِأنَّ غيرَ الموافِقِ للمطبوعِ لا يخلو من سَقْطٍ وأغلاطٍ؛ فإذا لم يكنْ الكتابُ موافقًا للمطبوعِ، قُمْ بزيارةِ المكتباتِ العامةِ لمقابلةِ أيِّ كلامٍ مقتبسٍ على الكتبِ المطبوعةِ، ومتى تعسَّرَ عليك، قمْ بتزيلِ أيِّ كتابٍ تحتاجُهُ من النتِّ بشرطِ أن يكونَ موافقًا للمطبوعِ.
ولا تقتبسْ أيَّ كلامٍ من كتابٍ نَقَلَ عن غيرِهِ، بل عُدْ للأصلِ وخُذْ الكلامَ المقتبسَ بِسَنَدٍ عالٍ.

واجعلْ الشعرَ في الكلامِ بِقَدْرِ المِلْحِ في الطعامِ.

د - العنايَةُ بِكُتُبِ فصيحِ مُفْرداتِ الألْفاظِ:

معـــانٍ تحـــتَ ألفـــاظٍ حِســـانٍ		كمـا اجْتَمَـعَ القلائِـدُ والنَّحُـورُ[١]

لا بُدَّ لَكَ من العنايةِ بالألفاظِ الكتابيةِ وهي مدونةٌ في كُتُبِ «الألفاظِ الكتابيةُ» للهمدانيِّ، و«جواهِرُ الألفاظِ» للبغداديِّ، وكتابِ «مُتَخَيَّرِ الألفاظِ» لابن فارسٍ، و«الألفاظِ الكتابةِ والتعبيرِ» لابنِ سَهْلٍ، فما في هذهِ الكُتُبِ أو غيرِها مادةٌ جاهزةٌ أسْقَطَتْ كثيرًا من المؤنةِ عن الكاتبِ.

قال الصاحِبُ بنُ عَبَّادٍ: «لو أدركتُ عبدَ الرحمن بنَ عيسى مُصَنِّفَ كتابِ «الألفاظِ» لَأَمَرْتُ بقَطْعِ يَدِهِ، فَسُئِلَ عن السَّبَبِ فقال: جَمَعَ شُذُورَ العربيةِ الجَزِلَةَ في أوراقٍ يسيرةٍ فأضاعَها في أفواهِ صبيانِ المكاتبِ، ورَفَعَ عن المُتَأَدِّبين تَعَبَ الدُّروسِ، والحفظِ الكثيرِ، والمطالعةَ الكثيرةَ الدائمةَ»[٢].

بـاللهِ لفظُـكَ هـذا سـالَ مـن عَسَـلٍ		أَمْ قـد صَـبَبْتَ على أفواهِنـا العَسَلَا؟

أَمِ المعـاني اللَّـواتي قـد أَتَيْـتَ بهـا		أرى بهـا الـدُّرَّ واليـاقوتَ مُتَّصِـلا

لـو ذاقَهـا مُـدْنَفٌ قامَـتْ حُشاشَـتُهُ		ولـو رآهـا غريـبٌ دارُهُ لَسَـلا

(١) «ديوانُ ابنِ الخيَّاطِ» (١٠٩).

(٢) الأَعْلامُ (٣٢١).

الفَصْلُ الثَّالثُ: رفيق الكاتِبِ

يحتاجُ الكاتبُ إلى زادٍ يَتَزَوَّدُ مِنْهُ وهو ما يأتي:

١- الاطِّلاعُ على الكُتُبِ المُعِيْنَةِ على صناعةِ الكتابةِ.

صُحْبَةُ الكُتْبِ تَجْعَلُ السجنَ دارًا   في حِماها يزولُ كُلُّ اغترابٍ[1]

هناكَ كُتُبٌ تُعينُكَ على صناعةِ الكتابةِ، يُمكنُكَ الرجوعُ إليها؛ للاستزادةِ والاستفادةِ، وهذه الكتبُ هي:

١- أدبُ الكاتِبِ؛ لابنِ قُتيبةَ.

٢- كتابُ الصناعتين؛ لأبي هلالٍ العسكريِّ.

٣- أَدَبُ الكُتَّاب؛ للصوليِّ.

٤- المَثَلُ السائِرُ؛ لابنِ الأثيرِ.

٥- كتابُ الفَرْقِ؛ لابنِ فارسٍ اللغويِّ.

٦- كتابُ الفَرْقِ؛ لثابتِ بنِ أبي ثابتٍ اللغويِّ.

٧- جواهِرُ الألفاظِ؛ لقُدامَةَ بنِ جَعْفَرَ.

٨- الألفاظُ الكتابيةُ؛ للهمذاني الكاتِبِ.

٩- سِحْرُ البلاغةِ وسِرُّ البراعةِ؛ للثعالبيِّ.

---

(١) ديوان سحنون (٢/ ١٦).

١٠- المُنْتَخَبُ من كناياتِ الأدباءِ وإرشاداتِ البلغاءِ؛ لأبي العباسِ الجرجانيِّ.

١١- كتابُ الكنايةِ والتعريضِ؛ للثعالبيِّ.

١٢- كتابُ الكتَّابِ؛ لابنِ دَرَسْتَوِيْهِ.

١٣- شرحُ أدبِ الكاتِبِ؛ لأبي منصورٍ الجواليقيِّ.

١٤- معالمُ الكتابةِ ومغانِمُ الإِصابَةِ؛ لعبدِ الرحيمِ بنِ عليٍّ القرشيِّ.

١٥- قواعدُ الإملاءِ وعلاماتُ الترقيمِ؛ لِعبدِ السلامِ محمد هارونَ.

١٦- مهاراتُ الكتابةِ في اللغةِ العربيةِ؛ لِشريفِ عبد السميعِ شريف عثمانَ.

١٧- الكتابةُ بين الموضوعِ والفَنِّ؛ عبدُ الرزاقِ حسينُ.

١٨- تصحيحُ الكُتُبِ وصُنْعُ الفهارِسِ المعجمةِ؛ أحمد شاكر.

١٩- تهذيبُ المفردِ العَلَمِ في رَسْمِ القَلَمِ؛ السيدُ أحمدُ الهاشميُّ.

٢٠- الضياءُ في فنِّ الكتابةِ وقواعِد الإملاءِ؛ محمدُ أحمد المليجيُّ.

٢١- في أساسياتِ اللغةِ العربيةِ؛ عبد العزيز نبوي.

٢٢- الارتقاءُ بالكتابةِ؛ محمدُ بنُ إبراهيمَ الحَمْدُ.

٢٣- تثقيفُ اللسانِ وتلقيحُ الجَنَانِ؛ لابنِ مكيٍّ لصقليٍّ.

٢٤- الأخطاءُ اللُّغَوِيةُ الشائعةُ في الأوساطِ الثقافيةِ؛ محمد عبد الرزاق جمعة.

٢٥- تصويبُ أخطاءٍ لُغَوِيَّةٍ شائعةٍ؛ زهدي أبو خليل.

٢٦- الرسالةُ العذراءُ؛ لأبي اليُسْرِ إبراهيمِ بنِ محمدٍ الشيبانيِّ، والمنسوبةُ خطأً لابنِ المدبرِ[1].

٢٧- جواهِرُ الأَدَب للهاشميِّ.

---

(١)انظر: «كيفَ تكونُ كاتِبًا بارعًا، ومؤلفًا متقنًا؟»، موجود في الشبكة.

٢٨- نحوَ إتقانِ الكتابةِ باللغةِ العربيةِ أ. د مكِّي الحسَني.

٢٩- فَنُّ الإملاء والترقيمِ لفصيلِ الحاشديِّ.

وأنا أنصحُكَ أَنْ تَجْمَعَ تلكَ الكُتُبَ لمكتبتِكَ وتضعَ لك برنامجًا للقراءةِ لا تحيدُ عنه؛ فتشرعَ في الكتابِ الواحِدِ، عَشْرَ صفحاتٍ قبلَ النومِ، ومثلَها قبل الفَجْرِ أو بعدَهُ، وهكذا بحسبِ وقتِك وِكلَّما وجدْتَ فرصةً اقَرأُ عَشْرَ صفحاتٍ زيادةً، ولا تفرِّطْ في وقتِكِ؛ فإنَّ الكتابَ خيرُ أنيسٍ وجليسٍ.

اقــرأْ لتكتُــبَ فيمــا شِــئْتَ معرفــةً   فكيفَ يكتبُ مَنْ لـم يَقْـرَأْ الكتُبَا؟!(١)

٢- إدمانُ القراءةِ:

أَعَـزُّ مَكـانٍ فِـي الـدُّنى سَـرْجُ سَـابحٍ   وَخَيـرُ جَلِـيسٍ فِـي الزَّمـانِ كِتـابُ(٢)

لن تصلَ إلى الكتابةِ - التي تسمو إليها نفسُك - إلا على جِسْرٍ من المشقةِ، والتعبِ.

وأنا أوصيك أَنْ تقرأ كثيرًا، ولتكُنْ قراءَتُك متنوعةً، وتَجْعَلَها شُغْلَك الشاغِلَ في جميعِ أوقاتِك، فهي مِدادُكَ وعُدَّتُكَ في الكتابةِ، وعند قراءتِك لأَيِّ كتابٍ؛ كُنْ كأنَّكَ تسمَعُهُ من مُنْشِئِهِ فتستفيدَ من أسلوبِهِ، وإقناعِهِ، وتتعلمَ من أخطائِهِ كما تتعلمُ من صوابِهِ.

والعلماءُ المُكثِرون من التأليفِ - رحمَهم اللهُ - ما خَلَدَتْ كُتُبُهُمْ وسارتْ مسيرَ الشمسِ إلا؛ لِأَنَّهم كانوا أصدقاءَ كِتابٍ فهذا ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ يقولُ: «وإني أُخْبِرُ عن

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -.

(٢) دواوينُ الشعرِ العربيِّ (٤٦/ ١١).

حالي، ما أشْبَعُ من مطالعةِ الكُتُبِ، وإذا رأيتُ كتابًا لم أَرَهُ فكأنِّي وقَعْتُ على كَنْزٍ، فلو قلتُ إني قد طالَعْتُ عِشرين ألْفَ مُجَلَّدٍ كان أَكْثَرَ، وأنا بَعْدُ في طَلَبِ الكُتُبِ، فاسْتَفَدْتُ بالنَّظَرِ فيها ملاحظةَ سَيْرِ القومِ وقَدْرَ هَمِّهم، وحِفظِهم وعاداتِهم وغرائِبَ عُلومٍ لا يعرفُها مَنْ لم يُطالِعْ قَصِرْتُ أَسْتَزْرِي ما الناسُ فيه، وأَحْتَقِرُ هِمَمَ الطُّلَّابِ»[1].

٣- القراةُ لِأَكْثَرِ من كاتِبٍ:

تَغَايَرَتْ أدواتُ النطقِ فيك على وَصْفٍ تنوَّعَ في إحسانِهِ الناسُ[2]

أُوصيك أَنْ تُنَوِّعَ قراءتَك، وأَنْ تقرأَ لِأَكْثَرَ من كاتبٍ؛ لِأَنَّهُ متى كان لك كاتبٌ مُفَضَّلٌ؛ رَكَدتْ سفينَتُك عندَه، قد تَقَعُ في اقتباسٍ غير مقصودٍ، وربما تكرَّرَ منك ذلك، وهذا من عيوبِ الكتابةِ، ولكَنْ سوفَ تختفي تلك الظاهرةُ، عندما تقرأُ لِأَكْثَرَ من كاتبٍ[3].

ذريني أنلْ ما لا ينالُ من العلى فصعبُ العلى في الصعبِ والسهلُ في السهلِ
تريدينَ لقيانَ المعالي رخيصةً ولا بد دون الشَّهْدِ من إبَرِ النَّحْلِ[4]

---

(١) صَيْدُ الخاطِرِ (٤٥٤)، وكذا الآدابُ الشرعيةُ والمِنَحُ المرعيَّةُ (٢/ ٢٥٥).

(٢) الأفضلياتُ (٣٧).

(٣) لا تقرأْ لكاتِبٍ صاحِبِ شُبُهاتٍ، أو شَهَواتٍ؛ فإنَّ هذا العلمَ دِيْنٌ، ولا تشتر كتابًا حتى تَنْظُرَ في المُقَدِّمَةِ والفهرسِ، ويتأكَّدُ ذلك قَبْلَ وَضْعِكَ لَهُ في رفوفِ مكتبتِك؛ لِأَنَّكَ رَبُّما تحتاجُ للبَحْثِ في مسألةٍ فيُذَكِّرُكَ الفهرسُ، أنَّ ما تَبْحَثُ عنه موجودٌ في الكتابِ الفُلانيِّ.

(٤) التذكرةُ السعدية (٤٢).

الفَصْلُ الرَّابعُ
التَّمَرُّنُ والتوسُّعُ فِي الكتابةِ على نَمَطِ كلامِ البُلَغَاءِ

آخُـذُ العلـمَ مَنْـكَ شـيئًا فشـيئًا أَحْسَـنَ الفَهْـمِ جـاءَ بالتَّـدْرِيجِ[١]

هذا الفصلُ هو خلاصةُ الرسالة وزُبدتها، ومربطُ الفرسِ، وبيت القصيد؛ لأن الهدفَ من صناعة الكتابة هو التمرُّنُ والتوسُّعُ في الكتابة على نمطِ كلامِ البُلَغَاءِ فنقول:

لا بُدَّ لك أنْ تتمرَّنَ على صناعةِ الكتابةِ فتبدأ بكتابةِ رسالة صغيرةٍ في نحوِ خمسين وَرَقَةً، تتضَمَّنُها مسألة واحدةٌ، حتى يشتَدَّ عُودُك ويَقْوى ساعِدُك.

وتختارُ من المعاني ما يناسِبُ اللَّفْظُ، وما يناسبُ غَرَضَ الكلامِ، ومقامَهُ، ويحصلُ لك بمطالعةِ كلامِ البُلغاءِ، وتَتَبُّعِ أخبارِهم وسَبْرِ أغوارِهم في انتقاءِ الألفاظِ، فيحصُلُ لك ما لا يَحْصُلُ من دراسة قواعدِ الفصاحةِ والبلاغةِ.

ولهذهِ المعاجلةِ طرائِقٌ:

إحداهما: المطالعَةُ.

ثانيها: الحفظ.

ثالِثُها: حَلُّ الشَّعْرِ، وعَقْدُ النثرِ، بمعنى تُصَيِّرُ الشعرَ نثرًا، والنثر نَظْمًا، مع المحافظةِ على أَصْلِ المعنى، سواءً كان بتغييرٍ قليلٍ في اللفظ وفي المعنى، أم بدونِهِ.

ومِنْ أَحْسَنِ حَلِّ الشِّعرِ قولُ صاحِبِ «قلائِدِ العقيانِ»: فإنَّه لمَّا قَبُحَتْ فَعْلاتُهُ،

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا – حَفِظَهُ اللهُ –.

وحَنْطلتْ نَخْلاتُهُ[١]، لم يَزَلْ سوءُ الظَّنِّ يقتادُهُ، ويصدِّقُ تَوَهُّمُهُ الذي يعتادُهُ[٢] حَلَّ به قولَ المتنبي:

إذا سَاءَ فِعْلُ المَرْءِ ساءَتْ ظنونُه ... وصَدَّقَ ما يعتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ[٣]

وقولُ الخُوارزْميِّ في بعضِ مكاتيبِهِ: «إذا أَحَسَّ من لِسانِهِ بَسْطَةً ووَجَدَ في خاطرِهِ فَضْلةً، وأصابَ من القولِ جَرَيَانًا، قال: ما وَجَدَ بَيَانًا»[٤] فَحَلَّ بذلك قول الشاعِرِ:

وقد وجدتَ مكان القولِ ذا سَعَةٍ ... فإنْ وَجَدْتَ لِسانًا قائلًا فَقُلِ[٥]

مع تغييرٍ في اللفظِ والمعنى.

وأما عَقْدُالنَّثْرِ فكثيرٌ ومنه قولُ أبي تمامَ:

أَتَصْبِرُ للبلوى عَزاءً وحِسْبَةً ... فَتُؤجَرَ أَمْ تَسْلُوَّ سُلُوَّ البَهائِمِ[٦]

عَقَدَ قولَ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للأَشْعَثِ بنِ قيسٍ: «إمَّا صَبَرْتَ صَبْرَ الأحرارِ، وإلا سَلَوْتَ سُلُوَّ البهائِمِ»[٧][٨].

---

(١) حَنْظَلَتْ نَخْلاتُهُ أي صارَتْ كالحَنْظَلِ في المرارةِ.

(٢) «قلائِدُ العقيانِ» (١/ ١٣٢).

(٣) ديوانُ المتنبي (٤/ ١٣٥).

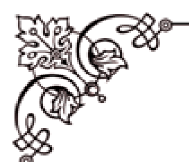
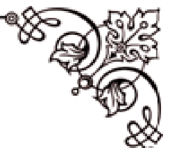
(٤) رسائلُ الخوارزميِّ (١١).

(٥) ديوانُ المتنبي (٣/ ٨١).

(٦)ديوانُ ابي تمامَ (٣/ ٢٥٩).

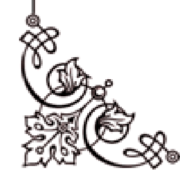
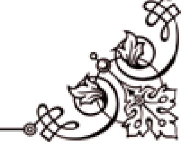
(٧) آدابُ الدنيا والدين (٤٥٥).

(٨) انظر: أصولُ الإنشاءِ لابنِ عاشورَ (١١١ - ١١٢).

البابُ الثَّانِي

مَدْخَلٌ فِي ذِكْرِ مَبَادِئِ فِي التَّأْلِيفِ

الفَصْلُ الأَوَّلُ
مبادئُ فِي التأليفِ
تعريفُه - حُكْمُه - مَقَاصِدُهُ - فوائِدُهُ

أولًا: تعريفُ التَّأْلِيْفِ:

التأليفُ لُغَةً: تَفْعِيْلُ من أَلِفَ الشيْءَ، إذا انْضَمَّ إليه دائمًا وغالبًا[١].

وفي مفرداتِ القرآنِ للأصفهانيِّ: «المؤلَّفُ ما جُمِعَ من أجزاءَ مختلفةٍ ورُتِّبَ ترتيبًا قَدَّم فيه ما حَقُّهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ وَأَخَّرَ ما حَقُّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ»[٢].

وفي الاصطلاحِ: تأليفُ الكتابِ ضَمُّ بعضِهِ إلى بَعْضٍ حروفًا وكلماتٍ وأحكامًا ونحوَ ذلك من الأجزاءِ، ويُطْلَقُ على الكتابِ مُؤَلَّفًا؛ لِأَنَّه يَجْمَعُ ويَضُمُّ معلوماتٍ تتعلَّقُ بعلمٍ مُعَيَّنٍ.

وعَرَّفَ الشهرانيُّ التأليفَ بأنه: «إبداعُ العالِمِ أو الكاتِبِ بما يَحْصُلُ في الضميرِ من الصُّورِ العلميةِ في كتابٍ ونحوِهِ»[٣].

ثانيًا: حُكْمُ التأليفِ:

التأليفُ من فروضِ الكفايةِ لِمَنْ قَدَرَ عليه، قال الزركشيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «من فروضِ الكفايةِ تصنيفُ كُتُبِ العلمِ لِمَنْ مَنَحَهُ اللهُ فهمًا واطلاعًا، ولن تزالَ هذهِ الْأُمَّةُ – مع قِصَرِ أعمارِها – في ازْدِيادٍ وترقٍّ في المواهِبِ، والعلمُ لا يَحِلُّ كَتْمُهُ، فلو تُرِكَ

---

(١) حقوقُ الاختراعِ للشهرانيِّ (٨٣).

(٢) مفرداتُ القرآنِ (٨١).

(٣) حقوق الاختراعِ (٨٣).

التَّصْنِيفُ، لضُيِّعَ العلمُ على الناسِ»[١].

ثالثًا: مَقاصِدُ التَّأْلِيفِ:

عَرَفْنَاكَ يَا مَولايَ رَبَّ عزيمةٍ وقُدْرَكُ بالعَزْمِ الشديدِ المقاصِدُ[٢]

المقاصِدُ هي الطُّرُقُ وما استقامَ منها.

ومقاصِدُ الكتابة هي: أَحَدُ المعاني الثمانيةِ التي ذكرها العلامةُ محمدُ جمالُ الدينِ القاسميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقولِهِ: «اختراعُ معدومٍ، أو جمعُ مُتَفَرِّقٍ، أو تكميلُ ناقصٍ، أو تفصيلُ مُجْمَلٍ، أو تهذيبُ مُطَوَّلٍ، أو ترتيبُ مُخْتَلطٍ، أو تعيينُ مُبْهَمٍ، أو تبيينُ خطإٍ»[٣].

وإليك شَرْحُها:

أولًا: «اختراعُ معدومٍ»، أي: لم تُسْبَقْ إليه - فيما تعلمُ وتَعْتَقِدُ -.

ثانيًا: «جَمْعُ مُفترقٍ»، أي مسألةٌ مُشتَّتَةٌ وأدلَّتُها في بطونِ الكُتُبِ، تجمعُها في كتابٍ واحدٍ.

ثالثًا: «تكميلُ ناقصٍ»، أي: أنَّ الموضوعَ لم يَكْتَمِلْ فيه جَانبٌ من الجوانِبِ فتُكمِلْهُ أنتَ.

رابعًا: «تفصيلُ مُجْمَلٍ»، أي: أنَّك تُفصِّلُ المسأَلةَ شيئًا فشيئًا حتى يذهَبَ تراكمُ المعالي، ويتضَّحَ المرادُ.

---

(١) كما في قواعِدِهِ (٣/ ٣٥).

(٢) «ديوانُ أمين تقي الدين» (٣٨).

(٣) قواعدُ التحديثِ للقاسميِّ (٣٧).

خامسًا: «تهذيبُ مطوَّلٍ»؛ أي: أَنَّك تلجأُ إلى الاختصارِ دون الإخلالِ.

سادسًا: «ترتيبُ مُخلَّطٍ»؛ أَي: أَنَّك تقدِّمُ وتؤَخِّرُ في ترتيبِ المادَّةِ أوِ الموضوعِ.

سابعًا: «تعيينُ مبهمٍ»؛ أَي: أَنَّك تعيِّن وجودَ موضعٍ خفيٍّ في مسأَلةٍ أو نقطةٍ أو نكتةٍ لِتُظْهِرَهَا، وتجلِّيَ أمرَها.

ثامنًا: «تبيينُ خطإٍ»؛ أَي: أَنَّك تصحِّحُ خطأَ الغَيرِ إذا أَيقنْتَ صوابَ ما أَنتَ عليه، وبعضُهم جَعَلَ المقاصِدَ سبعةً وهوأَدَقُّ؛ لِأَنَّ تفصيلَ المجملِ وتعيينَ المُبْهَمِ من جنسٍ واحدٍ وعلى هذا سار ابنُ خلدون[1].

ونَظَمَ بعضُهم هذه المقاصِدَ السَّبْعةَ بقولِهِ:

ألا فــاعلمنْ أَنَّ التَّــأْليفَ سَــبْعةٌ   لكــلِّ لبيــبٍ في النصــيحةِ خــالِصِ
فشــرحٌ لإغـلاقٍ وتصـحيحُ مخطـيءٍ   وإبــداعُ حَبْـرٍ مقــدمٍ غيــرِ نــاكِصِ
وترتيـــب منشـــور وجمـــع مفـــرق   وتقصــيرُ تطويــلٍ وَتَتْمــيمُ نــاقِصِ[2]

وما ذكرهُ العلماءُ إنما هو الأكملُ والأفضلُ؛ وإلا فبابُ التأليفِ مفتوحٌ لِمَنْ قَدَرَ عليهِ إلى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ وَمَنْ عليها؛ ما دامَ الكاتبُ مُتَقَيِّدًا بقيودِ الكتابِ والسُّنَّةِ بِفُهْمِ السَّلَفِ الصالِحِ - رحمَهم اللهُ تعالى -.

---

(١) انظر: مقدمةَ ابنِ خلدونَ (٥٤٩ - ٥٥٠).

(٢) مجموعُ الفوائِدِ المنظومةِ (١٢٣).

مـــا بالبنـــاءِ اضـــطرارٌ أَنْ تُحَسِّـــنَهُ   سـكناكَ يمـلأهُ حُسْـنًا ويوسِـعُهُ[١]

وتعجبُني رسالةُ العلَّامةِ ابنِ فارسٍ كَتَبَهَا لأبي عمرو بن سعيدٍ الكاتِبِ - رحمَهم اللهُ - ومما جاء فيها: «ألهَمَكَ اللهُ الرشادَ، وأصحبَكَ السدادَ، وجنَّبَك الخلافَ، وحبَّبَ إليك الإنصافَ.

وسَبَبُ دعائي بهذا لكَ إنكارُك على أبي الحَسَنِ محمدِ بنِ عليٍّ العِجْليِّ تأليفَهُ كتابًا في الحماسةِ، وإعظامُك ذلك.

ولعلَّهُ لو فَعَلَ حتى يصيبَ الغرضَ الذي يريدُه، وَيَرِدَ المنهلَ الذي يؤمُّه، لاستدرَكَ من جيِّدِ الشعرِ ونَقِيِّهِ، ومختارِهِ ورصينِهِ كثيرًا مما فات المؤلفَ؛ عما ذا الإنكارُ؟!

ولَمِهْ هذا الاعتراضُ؟!

ومَنْ ذا حَظَرَ على المتأخِّرِ مضادَّةَ المتقدمِ؟ ولِمَهْ تَأْخُذُ بقولِ مَنْ قال: ما تَرَكَ الأوَّلُ للآخِرِ شيئًا، وتَدَعُ قولَ الآخَرِ، كَمْ تَرَكَ الأولُ للآخِرِ.

وهل الدنيا إلا أزمانٌ، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ؟! وهل العلومُ بعد الأصولِ المحفوظةِ إلا خَطَراتُ الأوهامِ، ونتائجُ العقولِ؟!

ومَنْ قَصَرَ الآدابَ على زمانٍ معلومٍ، ووقَفَها على وقتٍ محدودٍ؟

ولِمَهْ لا يَنْظُرُ الآخِرُ مثلما نَظَرَ الأولُ حتى يؤلِّفَ مِثْلَ تأليفِهِ، ويجمعَ مثل جَمْعِهِ، ويرى في كُلِّ مَثَلٍ رأْيَهُ.

وما تقولُ لِفُقَهاءِ زمانِنا إذا نزلَتْ بهم من نوادِرِ الأحكامِ نازلةٌ لم تخطرْ على بالِ

(١) ديوانُ ابنِ سَهْلٍ (١٨٦).

مَنْ كان قبلَهم؟

أَوَ ما علمتَ أَنَّ لكلِّ قلبٍ خاطرًا، ولكلِّ خاطرٍ نتيجةً، ولِمَهْ جازَ أَنْ يُقالَ بعد أبي تمامَ مِثْلُ شعرِهِ، ولم يَجُزْ أنْ يؤلَّفَ مثلُ تأليفِ؟!

ولِمَهْ حَجَّرتَ واسعًا وحَظَرْتَ مُباحًا، وحَرَّمْتَ حَلالًا، وسَدَدْتَ طريقًا مسلوكًا؟!» إلى آخر ما قاله في رسالتِهِ الماتعةِ[1].

رابعًا: فوائدُ التأليفِ:

ومُعـــاوِدٌ منـــه اقْتبـــاسَ فوائِـــدٍ ... لـو شـامَها الأعشى الكبيرُ تَتَلْمَـذَا[2]

١ - التَّأليفُ وسيلةٌ من وسائِلِ تبليغِ الدعوةِ:

التأليفُ وسيلةٌ من وسائِلِ الدعوةِ إلى اللهِ باعتبارِها أداةً من أدواتِ التبليغِ، وتُؤدِّي ما يُؤَدِّي إليه القولُ، بل قد تكونُ أبلغَ فإنَّ الذي يبلُغُ بالقولِ يبلُغُ أناسًا في وقتِهِ وفي مكانِهِ والتبليغُ بالتأليفِ يبلُغُ أناسًا في أماكِنَ شتَّى بل أجيالًا لم يُولَدوا بَعْدُ.

قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «الكتابُ يبلُغُ ما لا يبلُغُهُ الخِطابُ، وهو باقٍ وصاحبُهُ مُوَسَّدٌ تحتَ التُّرابِ».

ويقولُ رَحِمَهُ اللهُ: «رأيتُ من الرأيِ القديمِ أَنَّ نَفْعَ التصانيفِ أكثرُ من نَفْعِ التعليم بالمشافَهَةِ؛ لأني أُشافِهُ في عُمُري عَدَدًا من المتعليمين، وأشافِهُ بتصنيفي خَلْقًا لا يُحْصَونَ ما خُلِقوا بَعْدُ، ودليلُ هذا أَنَّ انتفاعَ الناسِ بتصانيفِ المُتَقَدِّمين أكثرُ مِنْ انتفاعِهِمْ

---

(١) انظر: مقاييسَ اللغةِ لابنِ فارسٍ (١/ ١٥ - ٢٠).

(٢) ديوانُ ابنِ نباتَةَ (٧٥١).

بما يَستفيدُونه من مشايخِهِمْ؛ فينبغي للعالِمِ أن يتوَّفر على التصانيفِ إنْ وُفِّقَ للتصنيفِ المفيدِ»(١).

٢- التأليفُ وسيلةٌ من وسائِلِ حِفْظِ العِلْمِ:

ومن فوائِدِ التأليفِ أنَّهُ وسيلةٌ حفظِ العلمِ فلولا التأليفُ لَضَاعَ كثيرٌ من العلمِ، وقد حَثَّ الله ﷻ عبادَهُ على حفظِ الدَّيْنِ عن طريقِ كتابتِهِ فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ [البقرةُ: ٢٨٢].

«فلمَّا أَمَرَ اللهُ ﷻ بحفظِ الدَّيْن حِفْظًا له واحتياطًا عليه وإشفاقًا من دخولِ الرَّيْبِ فيه، كان العلمُ الذي حفظُتُهُ أصعبُ من حفظِ الدَّيْنِ، أحرى أنْ يُكتبَ خَوفًا من دخولِ الشَّكِّ والريبِ فيه، بل إنَّ كتابةَ العلمِ في هذا الزمانِ أقوى حُجَّةً من الحفظِ»(٢).

قال ذو الرُّمَّةِ لعيسى بنِ عُمَرَ: «اكتبْ شعري؛ فالكتابُ أحبُّ إليَّ من الحفظِ؛ لِأَنَّ الأعرابيَّ ينسَى الكلمةَ وقد سَهِرَ في طلبِها ليلَتَهُ، فيضيَعُ في موضِعِها كلمةً في وَزْنِها، ثم ينشدُها الناسَ، والكتاب لا ينَسَى ولا يُبدِّل كلامًا بكلامٍ»(٣).

٣- أَنَّ العلمَ إذا كان مُدَوَّنًا كان أقوى حُجَّةً:

---

(١) صيدُ الخاطِرِ (١٦٥).

(٢) تقييدُ العلمِ (٧٠ - ٧١).

(٣) «سِيَرُ أعلامِ النَبلاءِ» (٥/ ٣٣٢).

العلمُ إذا كان مُدَوَّنًا كان أقوى في الاحتجاجِ به وأعَمَّ فائدةً للناسِ.

وقد قال أبو الزنادِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنَّا نكتُبُ الحلالَ والحرامَ، وكان ابنُ شهابٍ - وهو الإمامُ الزهريُّ - يكتُبُ كُلَّ ما سَمِعَ، فلما احْتِيجَ إليه عَلِمْتُ أنه أعلمُ الناس. وقال: كنتُ أطوفُ أنا والزهريُّ، ومعه ألواحٌ أو صحفٌ فكُنَّا نَضْحَكُ به»[1].

٤- شَحْذُ الهِمَّةِ للعلمِ:

أنَّ الانشغالَ بالتأليفِ سببٌ لِشَحْذِ الهِمَّةِ للعلمِ والازديادِ منه.

قالَ ابنُ جُماعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاشتغالُ بالتصنيفِ والجمع والتأليفِ، لكنْ مع تمامِ الفضيلةِ، وكمالِ الأهليَّةِ، فإنه يَطَّلِعُ على حقائِقِ الفنونِ ودقائِقِ العلومِ للاحتياجِ إلى كثرةِ التفتيشِ والمطالعةِ، والتنقيبِ والمراجعةِ وهو كما قال الخطيبُ البغداديُّ: يُثَبِّتُ الحفظَ، ويُذكِّي القلبَ ويشحَذُ الطَّبْعَ ويجيدُ البيانَ ويكسبُ جميلَ الذكرِ، وجزيلَ الأجْرِ ويخلدُهُ إلى آخِرِ لدهرِ»[2].

فصولٌ على تنويعِها اجْتَمَعَتْ بها ... إلى طرفٍ من حَلِّ ضَرْبٍ فوائِدُ
من الذكرِ والتاريخِ فيها ضوابطٌ ... وفيها من الخبرِ الحديثِ أوابِدُ

---

(١) كتابُ الحيوانِ للجاحِظِ (١/ ٤١).
(٢) «تذكرةُ السامِعِ والمتكلِّمِ» (١٨).

الفصلُ الثاني
رَسْمُ خِطَّةِ التَّأليفِ

سِـرْنا علـى الـنهجِ نبغـي خِطَّـةً رَشَـدًا ... تمحـو الظنـونَ وتبغـي كُـلَّ تَأْويـلِ[1]

ما مِنْ عملٍ ذي بالٍ إلا يمرُ بمراحلٍ يسيرُ عليها الْمَرْءُ لا يَحيدُ عنها، نذكرها مجملة ثم نفصلها.

المبحث الأول: مراحل التأليف إجمالًا

وتنقسِمُ الخطةُ إلى أربعةِ أقسامٍ:

أولًا: مرحلةُ اختيارِ الموضوعِ.

١- أَنْ يكونَ له صَدىً في نفسِكَ.

٢- أن يكونَ مما تدعو إليه الحاجةُ.

ثانيًا: مرحلَةُ التَّقْمِيش:

ويتضمن ما يأتي:

١- جمعُ المراجِع.

٢- القراءةُ في المراجِعِ.

٣- استخراجُ ما له علاقَةٌ بالبَحْثِ من المراجعِ وتدوينِها.

---

(١) ديوان أحمد محرم (٤٣٨).

٤- تدوينُ الخواطِرِ والفوائِدِ الواقعةِ في غيرِ المراجِعِ.

ثالثًا: مرحلةُ التَّفتيش:

ويندرج فيه:

١- رسمُ الخِطَّةِ.

٢- تنفيذُ الخِطَّةِ المرسومةِ، ويكون تنفيذ الخطة كما يأتي:

أ - اختيارُ العنوانِ.

ب - المقدمةُ.

جـ - تقسيمُ الخِطَّةِ إلى أبوابٍ وفصولٍ ومباحثٍ.

د - الاعتناءُ بالحواشي.

هـ - الخاتمةُ.

و - الفهرسُ.

رابعًا: مرحلةُ التَّبْيِيْضِ:

١- المراجعةُ.

٢- عرضُ الكتابِ على أهلِ العِلمِ.

هذه خطواتٌ أربعٌ يلتزمُها الكاتبُ بنفسِ الترتيبِ الذي ذكرناه.

وفيما يأتي الحديثُ عن الخِطَّةِ بشيْءٍ من التَّفْصيلِ:

المبحث الثاني: مراحل التَّأليف مفصلًا

أولًا: مرحلةُ اختيارِ الموضوعِ:

هــو روضٌ أطاعَــكَ الْحُسْــنُ فيــه ... فأطــاعَ الإحســانَ فيــه اختيــارُكْ[١]

لا تكتبْ إلا في موضوعٍ يلاقي صَدَىً في نفسك، وتَجاوُبًا تامًّا مع مَيْلِكَ وفكرك.

ولك أن تتأمَّلَ في حياةِ الشعراء، فالشاعِرُ إذا مَدَحَ مَنْ له مَعَزَّةٌ ومكانةٌ في نفسِهِ أجادَ وأفاد وبلغَ المرادَ وإذا لم تكنْ له تلك المكانةُ رأيتَ شعرَهُ تقطيعًا وأوزانًا، فلا تكتبْ في موضوعٍ لا تُحِبُّ الكتابةَ فيه، ولا تميلُ إليه نفسُكَ حتى لا تتعثَّرَ في خُطُواتِكَ، أو تُخْفِقَ في عَمَلِك.

ويَحْسُنُ أن يكونَ الموضوعُ كما يأتي:

١- أن يكونَ مما تدعو إليه الحاجةُ، فلا يَخْرُجُ عن مقاصِدِ التأليفِ.

٢- أن يكونَ الموضوعُ غَيْرَ مخالفٍ للشرعِ.

٤- أن يكونَ الموضوعُ نافعًا مفيدًا.

ثانيًا: مرحلةُ التقميشِ:

ويتضمن ما يأتي:

١- **جمعُ المراجعِ:**

ونخرجهــا، فتكســبُ ثــمَّ تــأوي ... رجــوعَ النحــل قــد حملــنَ زادا[١]

---

(١)تتمةُ اليتيمةِ (٤/ ٥٢).

إذا وُفِّقْتَ للكتابةِ في موضوعٍ يناسِبُ ميولَكَ، ورغبَتَكَ؛ فذلك بمثابةِ الأرضيةِ التي تحتاجُ أن تبنيَها وهلْ بناءٌ يقومُ بدونِ موادٍّ؟!

فأنتَ لا شَكَّ تحتاجُ أن تقومَ بشراءِ كُلِّ ما يلزَمُ البناءَ من أَلِفٍ إلى ياءٍ.

وهو هنا الوقوف على المراجِعِ التي تخدُمُ رسالتَكَ، ومِنْ ثَمَّ الاطلاعُ عليها جميعِها أو على مُعْظَمِها.

وما من شَكٍّ أَنَّ وقوفَكَ على المراجِعِ التي تحتاجُ إليها وحُسْنَ استفادتِكَ منها يُعَدُّ حَجَرَ الأساسِ لبناءٍ متكملِ الأركانِ، حَسَنِ البُنيانِ، وربَّما تعثَّرَ البنيانُ لوجودِ نَقْصٍ في بعضِ الموادِّ فتأَمَّلْ!

وجميلٌ أَن تُرَتِّبَ المراجعَ ترتيبًا زمنيًّا لِتَقِفَ على التطورِ التاريخيِّ لكتابتِكَ، وتقارِنَ بينَ المتأخِّرِ منها والمتقدِّمِ.

بعد هذا تنتقلُ إلى مرحلةٍ جديدةٍ، تستخلصُ الزُّبْدَةَ وتقدمُها لطلابِها بأسلوبِ العصرِ الذي أنتَ فيه.

٢- القراءةُ في المراجِعِ:

عرضْتُ على قلبي السلوَّ فقال لي ... من الآنَ فتِّشْ لا أَعَزَّكَ من صَبْرِ[٢]

متى اكتملتْ المراجعُ المطلوبةُ فعليك بقراءةِ كلِّ ما لَهُ صِلَةٌ بموضوعِك قراءةً واعيةً، وقد تحتاجُ إلى قراءةِ نصٍّ أو فقرةٍ عِدَّةَ مراتٍ حتى تُحْسِنَ الرَبْطَ بينَها وبين ما يسبقُها ويلحقُه من الأفكارِ.

---

(١) ديوان شوقي (٥٨٦).

(٢) أدبُ الكاتِبِ للصوليِّ (١٢٧).

٣- استخراج ما له علاقة بالبحث من المراجع وتدوينها:

سَطِّرْ ما تراهُ مناسِبًا لكتابِك فإذا كان المرجِعُ بين يديك ويسهلُ عليك الرجوعُ إليه تكتبُ على بطاقةٍ فكرةً موجزةً عن النصِّ ويُدوَّنُ فيها اسْمُ الكتابِ والجزءِ والصفحةِ؛ فتعودُ إلى الكتابِ بدلالةِ هذه البطاقةِ في الوقتِ المناسِبِ، وفَرِّقْ بين ما تنقلُهُ نقلًا حرفيًّا وما توجزُهُ وتختصرُهُ؛ فَتُقَيِّدُ عبارةَ غيرِكَ بين قوسين[١]، ويكونُ الاقتباسُ بالحجمِ المعقولِ، في المكانِ المناسِبِ، والاطنابُ فيه بحيثُ يقتبسُ الصفحاتِ من غيرِ تعليقٍ ولا ضرورةٍ؛ يعتبرُ عيبًا من عيوبِ الكتابةِ.

ويَحْسُنُ تجريدُ المَتْنِ من الإطنابِ؛ لِأَنَّ الإطنابَ مَحَلُّهُ الحواشي، وبعد الانتهاءِ من النصِّ يدوِّنُ اسمَ الكتابِ والمؤلِّفِ والجزءِ والصفحةِ[٢].

فمِنْ بركةِ العلمِ إرجاعُ كُلِّ قولٍ إلى قائِلِهِ قال السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن بركةِ العلمِ وشكرِه عَزْوُهُ إلى قائِلِهِ... ولهذا لا تراني أذكُرُ في شيءٍ من تصانيفي حرفًا إلا معزوًّا إلى قائِلِهِ من العلماءِ مبينًا كتابَهُ الذي ذُكِرَ مِنْهُ»[٣].

---

(١) فائدةٌ: يسمى ذلك بالاقتباسِ، والاقتباسُ هو دليلُ القراءةِ الواسعةِ، والمعرفةِ التامةِ بالبحوثِ القديمةِ، والحديثةِ، وشخصيةِ الكاتبِ كما تظهرُ من آرائِهِ، وأسلوبِ عرضِهِ، فإنها تتجلى أيضًا من طريقةِ نقلِهِ واقتباساتِهِ؛ فَمِنْ ثَمَّ ينالُ الكاتبُ ثقةَ القارئِ، ويطمئِنُّ لأفكارِهِ وآرائِهِ.

(٢) فائدةٌ: ما تلخِّصُهُ فلا تُقَيِّدْهُ بين قوسين؛ وإنما تكتبُ كلمةَ «انظر» قبل ذكرِ اسمِ المصدرِ وصفحاتِهِ.. لتفرِّقَ بين المنقولِ نقلًا حرفيًّا والمختصرِ، وبعبارةٍ أخرى لا بُدَّ من عزوِ كُلِّ ما تنقلُهُ عن غيرِك إلى مصدرِهِ؛ فما كان نقلُهُ حرفيًّا يقيَّدُ بين قوسين ويذكرُ اسمَ الكتابِ والصفحةِ والجزءِ. وما كان عن غيرِك وإنما صُغْتَهُ بعبارتِك ودَوَّنْتَهُ بأسلوبِكَ فلا يُقَيَّدُ بين قوسين؛ وإنما يُسْبَقُ المصدرُ بكلمةِ «انظر».

(٣) المزهرُ في علومِ اللغةِ للسيوطيِّ (١/ ٣١٩).

٤- تدوينُ الخواطِرِ وتقييدُ الفوائِدِ الواقعةِ في غيرِ مراجِعِ البَحْثِ:

أ - تدوينُ الخواطِرِ:

حين تكونُ مُنشغلًا بالكتابةِ، والقراءةِ في المراجِعِ، وأفكارُك تحومُ حولها فإنَّ الخواطِرَ تَتَدَفَّقُ تَدَفُّقَ الأنهارِ، والحَزْمُ أَنْ تَبادِرَ إلى تدوينها قبلَ أنْ تَشْرُدَ عَنْكَ.

والخاطِرُ يجودُ بِأَمرَيْن:

١- مسائِلُ تَقَدَّمَتْ دراستُها قديمًا ولها علاقةٌ بالبَحْثِ.

٢- مسائِلُ جديدةٌ وليدةٌ مع البَحْثِ.

وقد ينقدحُ في ذهنِك - أيضًا - مراجعُ مَرَّتْ بِكَ فلا تُفَرِّطْ في تقييدِ كلِّ ما خَطَرَ لك في حينِهِ(١).

قال محمدُ الحَمْد: «فالاشتغالُ بالتأليفِ، هو الشُّغُلُ الذي لا شُغُلَ بَعدَهُ، والعملُ الذي ينقطعُ إليه المرءُ وحدَهُ، تَجِدُهُ يبحَثُ في مسألةٍ إذا به يعثُرُ على أُخْرَى ولم يُكْمِلْ الأولى بَعْدُ، تراه يُحَقِّقُ في بحثٍ إذا به يَصِلُ إلى غيرِهِ؛ لِتَشَعُّبِ الكلام وارتباطِ بعضِهِ ببعضٍ، وأنَّ كثيرًا ما تطرأ عليه المسائِلُ، وتَنْكَشِفُ له الدقائِقُ، وهو يأْكُلُ، أو يَمْشي، أو يريدُ النَّومَ لذلك يكونُ المؤلِّفُ الخبيرُ بالأحوالِ لا يخلو عن القَلمِ والوَرَقِ أنَّى سارَ، وحيثما كان يُقَيِّدَ رؤوسَ المسائِلِ التي تَطْرَأُ على فكرِهِ بَغْتَةً حتى إذا ما رَجَعَ على حالةِ الاشتغالِ قَتَلَها بَحْثًا وأشبَعَها درسًا.

تَجِدُهُ يبتعِدُ عن الأهلِ والولدِ؛ خوفًا من أَنْ يَقْطَعَ عليه أَحَدٌ أفكارَهُ، ينفردُ عن الناسِ بنفسِهِ، وقد يصطفي شخصًا من شكلِهِ وجِنْسِهِ، يساعدُهُ على البحثِ والتنقيبِ، ويُبَيِّضُ له مُسَوَّداتِهِ بنَظامٍ وترتيبٍ»(٢).

---

(١) سيأتي مزيدُ بسطٍ في بابِ الوَقْتِ.

(٢) خواطرُ (١٨٢).

ب - تقييدُ الفوائِدِ الواقعةِ في غيرِ مراجِعِ البَحْثِ:

كما يَجْمُلُ بك أَنْ تُقَيِّدَ الخواطرَ فَتَقْيِيْدُ الفوائِدِ لا تَقْلُّ أهميةً عن تَقْيِيْدِ الخواطِرِ بل ذلك أعظمُ، فقد تَمُرُّ بك فائدةٌ نفيسةٌ أثناءَ المطالعةِ فلا تَمُرَّ عليها مرورَ الكرامِ بل قَيِّدْها في حينِها أو علِّمْ عليها في كتابٍ فإنَّكَ قد تحتاجُ لها.

ولا يكونُ حالُك كَحَالِ الرَّجُلِ الذي ذَهَبَ إلى سَوقِ الرقيقِ يبحَثُ عن جاريةً تعلَّقَ بها قَلْبُهُ فَتَرَكها إلى غيرِها أجملِ منها فتعلَّقَ بها قلبُهُ تعلُّقًا إلى درجةِ أنه نَسِيَ الأولى، وكأنَه لم يَمُرَّ بها وهكذا ورُبَّما خَرَجَ من السَوقِ خالِيَ الوفاضِ باديَ الإنقاضِ فكذلك الفوائِدُ.

وأطيبُ أوقاتي من الدهرِ خلوةً ... يقرُّ بها قلبي ويصفو بها ذهني

ويأخُذُ لي من سَوْرَةِ الفكرِ نشوةً ... فَأَخْرُجُ من فَنٍّ وأدخُلُ في فَنِّ

ويفهمَ ما قد قال عقلي تصوري ... فنقلي عن أذني وسمعي بها مني

وأسمعُ من نجوى الدفاترِ طُرفةً ... أزيلُ بها همي وأجلو بها حزني

ينادِ مُني قومٌ لديَّ حديثُهم ... فما غابَ منهم غيرُ شخصُهُم عني

ثالثًا: مرحلةُ التَّفْتيشِ:

١- رسْمُ الخِطَّةِ:

لَا تَعْجَلَنَّ إلى شريعةِ مَوْرِدٍ ... حتى تُبَيِّنَ خِطَّةَ الإِصدارِ[١]

لا بُدَّ للكاتِبِ أَنْ يسيرَ في كتابتِهِ وِفْقَ خِطَّةٍ مرسومةٍ، وتُعْرَفُ الخِطَّةُ بأَنَّها: عبارةٌ

---

(١) البصائرُ والذخائرُ (٤/ ٢٠٣).

عن تقسيمِ البَحَثِ إلى مقدمةٍ وأبوابٍ أو فصولٍ، وخاتمةٍ وفَهْرَسٍ وهي عمليةٌ تنظيميةٌ، تُشْبِهُ الخطوطَ المنتظمةَ التي يضعُها المهندسُ على اللوحَةِ لتنفيذِها فوقَ سطحِ الأرضِ المُعَدَّةِ للبناءِ، ويمِكنُ أن نتعرَّفَ على خِطَّةِ أَيِّ بحثٍ من خلالِ النظرِ في فهرسِهِ، لو أمسكْتَ بأَيِّ كتابٍ، ونظرتَ في فهرسِهِ لأمكنَكَ تحديدُ الخِطَّةِ.

٢- تنفيذُ الخِطَّةِ المرسومةِ:

إن الكتابةَ سارتْ نحوَ أُنْمُلِهِ والجودَ فالتقَيا فيه على قَدَرِ[١]

بعد الانتهاءِ من قراءةِ المراجِعِ وتسجيلِ الفوائِدِ والشوارِدِ سواءً عن طريقِ نقلِ النَّصِّ أو صياغتِهِ صياغةً جديدةً بأسلوبِك، ولا تَقْنَعْ بالنقْلِ والجَمْعِ - فقط - بل أَبْدِ رَأْيَكَ وأظهِرْ شخصيتَكَ على السطور بما يسطرُهُ قلمُك في الْمقامِ المناسِبِ.

يجبُ أن تكونَ الكتابةُ وِفْقَ ما في الخطةِ كتقسِيمِ الكتابةِ ابتدأ من اختيارِ العنوان إلى مقدمةٍ وأبوابٍ أو فصولٍ، وخاتمةٍ وفهرسٍ كالآتي:

أ - اختيارُ العُنوانِ:

لقد تركوا سِفرًا من المجدِ حافلًا وكُلٌّ لَهُ في ذلكَ السِّفْرِ عُنوانُ[٢]

اخترْ العنوانَ الجامِعَ المانِعَ المختَصَرَ.

ونقصُدُ بالجامِعِ الذي يَجْمَعُ كُلَّ ما يندرِجُ تَحْتَهُ فـ «الكتابُ يُعْرَفُ من عنوانِهِ» كما يقالُ في المُثَلِ.

---

(١) ديوانُ التهاميِّ (٩٥).

(٢) ديوانُ ابنِ الروميِّ (٨٤٠).

ونقصُدُ بالمانِعِ الذي يَمْنَعُ غَيْرَهُ من الدخولِ فيه.

ونقصُدُ بالمختصَرِ أن يكونَ قليلَ الألفاظِ.

ولْنَضْرِبْ لك مثالًا بكتابِ «الشعرُ والشعراءُ» لابنِ قتيبةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فالعنوانُ ذو شِقَّيْنِ؛ الشِّقُّ الأوَّلُ: الشعرُ وما يَتَّصِلُ به من قضايا الإبداعِ والنقدِ، وقد افتتحَ ابنُ قُتيبةَ كتابَهُ بمقدمةٍ توضِّحُ ذلك، والشِّقُّ الثاني في العنوانِ: الشعراءُ وأنسابُهم وأخبارُهم وبيئاتُهم المختلفةُ، ولم يخرجْ ابنُ قتيبةَ عن هذا الإطارِ. تأمَّلْ العنوانَ «الشعرُ والشعراءُ» يدلُّ دلالةً دقيقةً على محتوى الكتابِ؛ فهو جامعٌ مانعٌ مختَصَرٌ.

وأنا أوصيكَ ألَّا تذهَبَ بعيدًا عن مضمونِ الكتابِ؛ فإنَّ هذا مما يُعابُ.

قال ابنُ الروميِّ:

ظَبْيُـــكَ يـــا ذا حَسَـــنٌ وجهُــــهُ   ومـــا سِـــوى ذاك جميعًـــا يُعـــابْ

فـــافهمْ كلامـــي يـــا أبـــا مالـــكٍ   لا يُشْـــبِهُ العنـــوانَ مـــا في الكتـــابْ

ب - المقدمةُ[1]:

حُسْـنُ ابتـدائي بـذكري جيـرةَ الحَـرَمِ   لــه براعـــةُ شـــوقٍ يســـتهِلُّ دمـــي

المقدمةُ تحدِّدُ بحثَكَ، وأهميتَهُ، ومن سَبَقَكَ، وما يُميِّزُهُ عن غيرِهِ مع إشارةٍ عابرةٍ لطريقتِكَ الخاصةِ، ومتى احْتَجْتَ إلى تمهيدٍ أو توطئةٍ فلا بَأْسَ ومتى اقتصرتَ على المقدمةِ فلا ضَيْرَ.

لا بُدَّ أن تتأنَّقَ في المقدمةِ وأنْ تُطْلِقَ لقلمِكَ العَنَانَ فَتُشَنِّفَ الأذانَ بحلاوةِ

---

(١) جميلٌ أن تكتبَ المقدمةَ بعد الانتهاءِ من الكتاب، ومنهجك الذي سلكته، وبهذا يقِف القارئُ على منهجِكَ من غيرِ أن يقضيَ وقتًا طويلًا في التعرُّفِ إلى ذلك بتقليبِ الكتابِ وتَصَفُّحِهِ.

كلامِك، وروعةِ بيانِك، ورشاقةِ ألفاظِك، فإنَّ هذا حَتْمٌ يَلْتَزِمُ به كُلُّ صاحِبِ قلمٍ فصيحٍ، ورأيٍ صحيحٍ.

قال أهلُ البيانِ: من البلاغةِ حُسْنُ الابتداءِ، ويُسمَّى براعَةَ المطلعِ، وهو أَنْ يتألَّقَ المتكلمُ في أولِ كلامِهِ، ويأتي بأعذبِ الألفاظِ، وأجزلِها وأَرَقِّها، وأسلسها وأحسنِها، نظمًا وسَبْكًا، وأصحِّها مبنى، وأوضحِها معنى وأخلاها من الحَشْوِ، والرِّكَةِ والتعقيدِ، والتقديمِ والتأخيرِ، المُلْبِسِ والذي لا يُناسِبُ.

جـ - تقسيمُ الخِطَّةِ إلى أبوابٍ وفصولٍ ومباحِثَ:

ولـه الفصـولُ المحكمـاتُ كَأَنَّهـا ... شَـذَراتُ دُرٍّ فُصِّـلَتْ بجـواهِرِ[1]

إذا كان البحثُ محدودًا فيكفي تقسيمُهُ إلى فصولٍ كُلُّ فصلٍ يعالجُ قضيةً معينةً وإذا كان كبيرًا تُقَسِّمُهُ إلى أبوابٍ والأبوابُ تَنْقَسِمُ إلى فصولٍ والفصولُ تَنْقَسِمُ إلى مباحِثَ والهدفُ لَمُّ الشتاتِ فيصيرُ الكتابُ كالجَسَدِ الواحِدِ والكاتبُ مَثَلُهُ مَثَلُ مَنْ يبني بناءً على ذوقٍ عالٍ بحيثُ يَعْشَقُهُ كُلُّ الناسِ ويَحْسُنُ ترابُطُ الأبوابِ وتقاربُها كارتباطِ الغُرَفِ واتِّصالِها ولا يَحْسُنُ أن يكونَ البابُ الواحدُ عشرينَ صفحةً، وغيرُهُ عَشْرُ صَفَحاتٍ؛ فلا بُدَّ من التقارُبِ؛ فبابٌ يكونُ عشرين صفحةً، وآخَرُ مثلَهُ، أو دونَهُ، أو فوقهُ بقليل.

كما يَحْسُنُ بالكاتبِ أَنْ يُتْقِنَ عَمَلَهُ في كلِّ خُطوةٍ؛ فلا يجعلْ القارئَ يخرجُ من بابٍ، أ وفصلٍ، أو مَبْحَثٍ إلى غيرِهِ إلَّا وقد ألمَّ به وفَهِمَهُ حَقَّ الفهْمِ.

وينبغي له - أيضًا - أن يختارَ عناوينَ الفصولِ والأبوابِ بعنايةٍ فائقةٍ وذوقٍ عالٍ؛

---

(١) ديوانُ اليازجيِّ (٦٨).

بحيثُ يلفتُ النظرَ ويزيدُ المعنى وضوحًا والكتابَ تأنُّقًا.

وكذلك ترتيبُ الأبوابِ ترتيبًا شَيِّقًا، بحيثُ لو انتهى القارئُ من فصلٍ وَجَدَ نفسَهُ في حاجةٍ إلى الفَصْلِ الذي يليهِ وحالُهُ:

مثلُ الهِلالِ جَرَى إلى استكمالِهِ ... مُتَنَقِّلٌ مِنْ سُؤدَدٍ في سؤددٍ[1]

د - الاعتناءُ بالحواشي:

وعطاءُ غيرِكَ إِنْ بَذَلْتَ عنايةً ... فيه عطاؤكْ[2]

على الكاتبِ أَنْ يعتنيَ بالحواشي عنايةً بالغةً[3]؛ لفوائِدِها فمن فوائِدِها:

١- تجريدُ المَتْنِ من الإطنابِ.

٢- توثيقُ النصوصِ المُقْتَبَسَةِ، ونسبتُها لأصحابِها.

٣- توضيحُ بعضِ النقاطِ وشرحِها.

---

(١) دواوينُ الشعرِ العربيِّ (٣٧/ ٢٠٠).

(٢) التمثيلُ والمحاضرةُ (٩٨).

(٣) بعضُ النَّاس يخلطُ بين ما يُسَمَّى بالحواشي وبين ما يُسَمَّى بالهوامشِ! ويظنُّ أَنَّهما شيءٌ واحدٌ.

وهذا خطأٌ والصَّوابُ:

أنَّ الهامشَ: ما كان على جانِب الصفحةِ.

وَالحاشيةَ: ما كانتْ أَسفلَ الصفحةِ وتحتَ الكلامِ؛ يفصلُ بينَهما خطٌّ مُعترَضٌ.

أمَّا الهوامشُ؛ فهي قديمةٌ فلمْ تَعُدْ تستعملُ الآنَ ويُفَضَّلُ تركُها؛ لأنها سببٌ في الخلطِ بينهما وبين المَتْنِ.

ولا بأس من استعمالها عند التعليق بقلم اليد في دراسة الكتب.

٤- تنبيهُ القارئِ على تذُّكرِ نقطةٍ سابقةٍ أو لاحقةٍ في البحثِ.

٥- الإشارةُ إلى مصادرَ أخرى غنيَّةٍ بالمعلوماتِ، يَنْصَحُ القارئَ بالرجوعِ إليها.

٦- تَمْييزُ كلامَ المؤلِّفِ - أَو المصنِّفِ -: من كلامِ المُحَقِّقِ، أَو الشَّارِحِ.

٧- عَزْوُ المصادرِ، والمراجعِ.

٨- شرحُ ما ليسَ له علاقةٌ بالموضوعِ.

٩- إضافةُ أيِّ شيءٍ جديدٍ؛ حتَّى لو كان الكتابُ في مرحلةٍ ما قبلَ الأخيرةِ.

وليعلَم الكاتبُ أَنَّ الحاشيةَ غيرُ الأصلِ، فلا يَحْسُنُ ولا يَجْمُلُ تضخيمُها؛ حتى تُصْبحَ أكبرَ حَجْمًا من المتنِ؛ لِأَنَّ ذلكَ سببُ الفتورِ والمَلَلِ وصاحبُ الأسلوبِ الحَسَنِ لا يرَضى لنفسهِ بذلكَ.

٥- الخاتمةُ:

أَحـق بحسـنِ ابتـدائي مـا أنـالُ بـه ... حُسْنَ التَّخلُّصِ يتلو حُسْنَ مُخْتَتَمِي

الخاتمةُ تُعطينا الزبدةَ المستخلصةَ من البحثِ، فيذكرُ الكاتبُ الجديدَ الذي أضافَهُ والنتائِجَ التي توصَّلَ إليها، وذلك بإيجازٍ وإعجازٍ وعباراتٍ طناناتٍ، تهتَزُّ لروعتِها النفوسُ، وَيُطَرَبُ لحلاوتِها الأسماعُ فربَّما كان التأنُّقُ - في الختامِ - جابرًا لما عساهُ قد وَقَعَ من نَقْصٍ أو تقصيرٍ.

قال الهاشميُّ: حُسْنُ الخِتامِ هو أَنْ يجعلَ المتكلِّمُ آخرَ كلامَهِ، عذبَ اللفظ، حسَنَ السَّبْكِ؛ صحيحَ المعنَى مُشْعِرًا بالتمامِ حتى تتحقَّقَ براعةُ المَقْطَعِ بحسنِ الختامِ؛ إذ هو آخرُ ما يبقى منهُ في الأسماعِ، وربما حُفِظَ مِنْ بينِ سائِرِ الكلامِ لِقُرْبِ

العهد به[١].

كقولِ أبي نواسٍ:

وإنِّــي جَــديرٌ إذْ بَلَغْتُــكَ بــالمُنى ... وأنــتَ لمــا أمَّلْــتُ منــكَ جَــديرُ

فــإن تــولني منــكَ الجميــلَ فأهلــهُ ... وإلَّا فــــإنِّي عـــاذرٌ وشـــكُورُ[٢]

وقَالَ ابنُ أبي الأصبع – رحمه الله-: «يَجِبُ على المتكلِّمِ أنْ يَخْتِمَ كلَامَهُ بِأَحْسَنِ خاتمة؛ فإنَّها آخر ما يبقى في الأسماعِ؛ ولأنَّها رُبَّما حُفِظَتْ مِنْ دونِ سَائرِ الكلامِ في غَالِب الأحوالِ، فيجب أَنْ يَجْتَهِدَ في رَشَاقَتِهَا ونَضْجِها، وحَلَاوتِها، وجزالتِها»[٣].

وَقَالَ غَيْرُهُ: «يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ آخَرَ الكلامِ الذي يَقِف عَلَيْه الخطيبُ، أو المسترسِلُ، أو الشاعِرُ، مستعذبًا حسنًا، حتَّى لا يبقى للنفس تَشوَّقٌ إلى ما وراءه».

وقال ابن معصوم – رحمه الله-: « وهذا رابعُ المواضعِ الَّتي نَصَّ أئِمةُ البلاغةِ عَلى التأنقِ فيه؛ لأنه آخَرُ ما يقرع السَمع ويرتسمُ في النَّفْسِ، وَرُبَّما حفظ لقرب العهد، فإن كَانَ مختارًا حَسَنًا تلقاهُ السَّمعُ واستلذَّهُ ولرُبَّما جبر ما وقع فيما سَبَقَ مِنَ التَّقْصِيرِ، كالطَّعَامِ الشهيُّ يُتَنَاول بَعْدَ الأطْعَمَةِ التَّفِهَةِ.

فإن كَانَ بِخَلافِ ذَلِك، كَانَ على العكس، حتَّى رُبَّما أنس الْمحَاسنُ قَبْلَهُ»[٤].

ولك أن تنظر إلى خواتيم السور القرآنية تجد صدق ما ذكرناه، فقد اتفقت كلمةُ

---

(١) جواهرُ البلاغةِ للهاشميِّ رَحِمَهُ اللهُ (١/ ١٨).

(٢) زهرُ الأَكَمِ في الأمثالِ والحِكَمِ (١/ ٣٠٢).

(٣)«بديع القرآن» (٣٤٣).

(٤) أنوارُ الربيع (٦/ ٣٢٤).

أعْلَامِ الْبَيَّانِ على أنَّ خواتيمَ السور كلها كَفَوَاتِحها في غايةِ الْجَودةِ، ونهايةِ الكمالِ، إذا اخْتُتمت عَلى أَحْسَنِ وجوه الْبَلاغةِ وأفْضَلِ أنحاء الْبَراعةِ، ما بَيْنَ أدعيةٍ خالصةٍ، وتحميدٍ، وتهليلٍ، وتسبيحٍ، أو إيجازٍ لِما اقتضته السُّورة مِنْ تَفْصيلٍ، مِمَّا يُنَاسبه الاختتام، والإيذان للسَّامِعِ بِخَتْمِ المقالِ، وتوفِّيَةِ المرامِ، فلا يبقى مع تشوُّقٍ إلى إدامةٍ وتكميلٍ أو إتمامٍ(١).

قالوا: وقد أَتَتْ فواتِحُ السُّوَرِ من القرآنِ المجيدِ على أحسنِ الوجوهِ وأبلغِها وأكملِها، كالتحمداتِ، وحروفِ الهجاءِ، والنداءِ وغيرِ ذلك(٢).

و – الفهرسُ:

ومـــن حبـــاهُ الله أنبـــاءَ مـــا ... في كُتْبِـــه فهـــو لهـــا فِهــرِسُ(٣)

الفهارسُ: وهي لازمةٌ من لوازِمِ الكتابةِ تُمَكِّنُ القارئَ من الوصولِ للمعلوماتِ بسهولةٍ ويُسْرٍ؛ كما أَنَّها الوَجْهُ الثاني للكتابِ بعد المقدمةِ؛ وهل يُعْرَفُ جوَهرُ أي كتابٍ إلا بعدَ النظَرِ في المقدمةِ والفهرسِ، فيَحْسُنُ التأنُّقُ فيها تَأنُّقًا لا يَقِلُّ عن المقدمةِ، وَأَوَّلُ التأنُّقِ أن تجعلَ عناوينَ الفصولِ جامعةً مانعةً شَيِّقَةً جذابةً، ومن الأفضلِ أن يكونَ الفهرسُ في بدايةِ الكتابِ قبلَ المقدمةِ، ويكتفي بفهارسِ المصادرِ والمراجعِ، ثم الموضوعاتِ، أو الموضوعاتِ فقط، وإذا كان البحثُ موسَّعًا، كالموضوعاتِ التي تتناولُ المخطوطاتِ فيحسُنُ أن تذكَرَ فهرسًا شاملًا، مثل فهرسٍ

---

(١) معترك الأقران (١/ ٧٥).

(٢) أنوارُ الربيعِ في أنواعِ البديعِ (٣).

(٣) ديوانُ ابنِ معصومٍ (٢٠٢).

للآياتِ، وفهرسٍ للأحاديثِ، وفهرسٍ للقوافي، وفهرسٍ للأعلامِ، فهرسٍ للأممِ والقبائِلِ، فهرسٍ للبلدانِ والمواضِعِ، وفهرسٍ لموضوعاتِ البحثِ وأبوابِهِ التي توجدُ بداخلِهِ كُلُّ هذه أنواعٌ من الفهارسِ. والترتيبُ لِكُلِّ نوعٍ بطريقةِ الهجائيةِ أو الأبجديةِ العربيةِ.

رابعًا: مرحلةُ التَّبْيِيضِ:

التَّبْيِيْضُ للكتابِ هو اللَّمْسَةُ الأخيرةُ، قبلَ تسليمِهِ للطبعِ ومن ثَمَّ إخراجُهُ للناس، وقد كان يسمَّى قبلَّ ذلك تسويدًا أو مسوَّدَةً.

فكما تحتاجُ العروسُ إلى الزِّيْنَةِ ليلةَ عُرْسِها فكذلك الكتابُ بحاجةٍ إلى تبيضٍ قبلَ إخراجِهِ للناسِ؛ لِأَنَّ كتابَك هو وَجْهكَ تعرَضُهُ عليهم قال الخطيبُ رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ صَنَّفَ فقد جَعَلَ عقلَهُ على طَبَقٍ يعرِضُهُ على الناسِ»[1].

ويَشْتَمِلُ التبييضُ على أَمْرَينِ:

١- المراجعةُ:

ونعني بالمراجعةِ أَنْ تُراجِعَ ما زاغَتْ بِهِ الأقلامُ، أو زَلَّتْ به الأفهامُ فقد كان بَعْضُ السَّلَفِ يُسَوِّدُ كتابَهُ في أيامٍ معدودةٍ ويُبَيِّضُهُ في سنواتٍ مما يَدُلُّكَ على أهميةِ المراجعةِ.

قال الجاحِظُ: «وينبغي لِمَنْ كَتَبَ كتابًا أَلَّا يَكْتُبَهُ إلَّا على أنَّ الناسَ كلَّهم لَهُ أعداءٌ،

---

(١) سِيَرُ أَعلامِ النُّبلاءِ (١٨/ ٢٨١).

وكُلَّهم عالِمٌ بالأمورِ، وكلَّهُمْ متفرِّغٌ له، ثُمَّ لا يَرْضَى بذلك حتى يَدَعَ كتابَهُ عُفلًا، ولا يرضَى بالرَّأي الفطير، فإنَّه لابتداءِ الكتابِ فتنةً وعُجْبًا، فإذا سكنَتْ الطبيعةُ وهدأَتْ الحَرَكَةُ، وتراجَعتِ الأَخلاطُ، وعادَتْ النَّفْسُ وافرةً، أعادَ النظرَ فيه، فَيَتَوقَّفُ عند فصولِهِ توقُّفَ مَنْ يكونُ وَزْنُ طَمَعِهِ في السلامة أنقصَ من وَزْنِ خوفِهِ من العيبِ، ويتفهَّمُ معنى قولِ الشاعِرِ:

إنَّ الحـــديثَ تَغُـــرُّ القـــومَ جلوتُـــهُ   حتـــى يلـــجَّ بهـــم عِـــيٌّ وإكْثَـــارُ

ويقفُ عند قولهم في المَثَلِ: «كلُّ مُجْرٍ يُسَرُّ»[1].

فيخافُ أن يَعْتَرِيَهُ ما اعْترى مَنْ أَجْرَى فَرَسَهُ وَحْدَهُ، أو خلا بعلمِهِ عند فَقْدِ خُصُومِهِ، وأهْلُ المنزلةِ من أهلِ الصناعةِ»[2].

فالجاحظُ ينبِّهُك إلى أَنْ تُتْقِنَ كتابَكَ وتُبَيِّضهُ وتزيِّنَهُ وتَهْذِّبَهُ، وحتى لو أَخَذَ مِنْكَ سنواتٍ فكتابٌ واحدٌ تَصْبِرُ على تربيتِهِ مهما طالَ العُمُرُ يرفَعُ قَدْرَكَ في الدنيا والآخرةِ خيرٌ من عَشَراتِ الكُتُبِ لا تَصْبِرُ على تربيتِها فتموتُ قبلِ موتِك.

وها هو النوويُّ يُحَذِّرُكَ من إغفالِ المراجعةِ قال رَحِمَهُ اللهُ: «وَيَحْذَرْ من إِخراجِ تصنيفِهِ من يَدِهِ إلا بعد تَهذِيْبِهِ، وتَرْدَادِ نَظَرِهِ منه وتكْرِيْرِهِ».

وقال أُسْتَاذُنا – حَفِظه الله –:

نَمَّقْـــتَ قولَـــك فاســـتلذَّ أحبَّـــةٌ   وتلجمَـــتْ ببيانِـــكَ الأعـــداءُ

(١) يُضْرَبُ مثلًا للرَّجُلِ تكونُ فيه الخُلَّةَ يَحْمَدُها من نَفْسِهِ، ولا يَشْعُرُ بما في الناسِ من الفضائِلِ.

(٢) الحيوانُ للجاحِظِ (١/ ٨٨).

٢- عَرْضُ الكتابِ على أهلِ العِلْمِ:

اِعْرِضُ الكتابَ على أهلِ العلمِ للاستفادةِ من عِلمِهم، وخِبْراتِهم، وتَجَارِبِهِمْ، قال الصوليُّ: «المُتَصَفِّحُ للكتابِ أَبْصَرُ بمواقِعِ الخَلَلِ مِنْ مُنْشِئِهِ»(١).

وقال جَعْفَرُ بنُ يحيى: «اتَّخِذْ كاتبًا مُتَصَفِّحًا لكُتبِك فإنَّ المؤلِّفَ للكتابِ تُنازعُه أمورٌ، وتعتورُهُ صروفٌ، تشغَلُ قلبَهُ، وتُشَعِّبُ فِكرَهُ، من كلامٍ يُنَسِّقُهُ، وتأليفٍ يُنظمُهُ، ومعنىً يتعلَّقُ به يَشْرَحُهُ، وحُجَّةٍ يوضِّحُها، والمتصفِّحُ للكتابِ أبْصَرُ بمواضِعِ الخَلَلِ من مُبْتدِي تأليفِهِ»(٢).

وعلى أهلِ العلمِ أن يُوَسِّعُوا صدورَهم لخدمةِ إخوانِهِم من طُلَّابِ العلمِ، فإنَّ هذا بابٌ من أبوابِ الدعوةِ إلى اللهِ وبالقوادِمِ والخوافي قُوَّةُ الجَناحِ، وبالأَسِنَّةِ والعوالي عَمَلُ الرِّماحِ(٣).

---

(١) الإعجازُ والإيجازُ (١١١).

(٢) «مُعْجَمُ الأُدباءِ» (١/ ١١).

(٣) أُخبرُكَ أَنَّ هذه الرسالة قَدْ رَسَّتْ في شاطِيء الباحثِ المفيدِ عبد اللهِ بن جمال؛ فكان حَالَهُ كما قَالَ: الصوليُّ، وجَعْفَرُ بن يحيى، وَمَقَالَهُ كَمَا قَالَ الأصْفَهَانِيُّ: «لو غُيِّرَ هذا لَكَانَ أَحْسَنَ، ولو زُيِّدَ كذا لكان يُسْتَحْسِنُ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أَفْضَلَ، ولو تُرِكَ هذا لكان أَجْمَلَ». فجزاه الله خيرًا.

الفصلُ الثَّالث
نصائح وتوجيهات

هذا الفصلُ اشْتَمَلَ على نصائحَ سَنِيَّةٍ يَحْسُنُ أَنْ تُتَّخَذَ دستورًا في طريقِ التأليفِ.

أولًا: الأهليةُ قبلَ التأليفِ:

١- اكتبْ في الفَنِّ الذي تُحْسِنُهُ:

جـدواكَ إِنْ تَخْصُـصْ بـهِ فلأهلِـهِ وتعـمُّ بالإحسـانِ كُـلَّ مؤمِّـلِ[1]

ما أجملَ أَنْ تكتُبَ في تخصُّصِكَ وما هو من اخْتِصَاصِكَ في أيِّ فنٍّ من الفنونِ؛ لِأنَّ ذلكَ من أعظمِ أسبابِ الإتقانِ، والإبداعِ وقِلَّةِ الوقوعِ في الأخطاءِ؛ وقديمًا قالوا: «مَنْ تَكَلَّمَ فِي غَيْرِ فَنِّهِ؛ فَقَدْ أَتَى بِالْعَجَائِبِ».

وقال ابنُ جماعةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ لم يتأَهَّلْ فالإنكارُ عليه مُتَّجِهٌ لما يتضمَّنُهُ من الجهلِ، وتقريرُ مَنْ يَقِفُ على ذلك التصنيفِ به، ولكونِه يُضَيِّعُ زمانَهُ فيما لم يُتْقِنْهُ، ويَدَعُ الإتقانَ الذي هو أحرى بِهِ مِنْهُ»[2].

٢- التَّخَصُّصُ:

دَرَجَ العلماءُ قديمًا وحديثًا على الاختصاصِ؛ فجعلوا - مثلًا -:

١- المُحَدِّثُ: منوطٌ به دراسةُ علمِ الحديثِ روايةً ودرايةً، جرحًا وتعديلًا؛ وكلِّ شيْءٍ صَدَرَ؛ من حديثٍ، أَو خَبَرٍ، أَو أَثَرٍ، وما يعلَّقُ بها من أَحوالِ الرُّواةِ.

---

(١) معجمُ الأدباءِ (٤/ ١٤٤٠).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم (٨٢).

٢- المفسِّرُ: منوطٌ به علومُ القرآنِ؛ من التفسيرِ، ومعرفةِ أسبابِ النُّزولِ، وآياتِ الأحكامِ، والجَمْعِ، والترتيبِ، ومعرفةِ المكيِّ والمدنيِّ، وغيرِ ذلك.

٣- المتكلِّمُ، وهو الناقد في عرف عصرنا وعمله: منوطٌ به علمُ العقيدة أو المُخَاصَمَةِ، والرَدِّ على النحل الكفرية والفِرَقِ الضَّالَةِ؛ من اليهودِ، والنَّصارى، والمشركينَ، والمنافقين، والفلاسفة والمبتدعة وخاصة الشَّيعةَ؛ فهم بحاجةٍ إلى أمثالِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ؛ لذا لا أنصحُ المبتدئَ بمحاولةِ مقارَعتِهم.

٤- الفقيهُ: منوطٌ به قِسْمُ العباداتِ، وَقَسْمُ المعاملاتِ، أَوِ السَّياسةِ المدنيةِ؛ فهو المطلوبُ منه أَنْ يُقَعِّدَ القواعِدَ الفقهيَّةَ؛ الَّتي تُبنى من خلالِ علمِ الأُصوليِّ.

٥- الأُصولِيُّ: مَنُوطٌ به علمُ دراسةِ الأحكامِ الشَّرعيةِ من أَدلَّتِها الأُصوليَّةِ؛ مثل: القرآنِ، والسُّنَّةِ، والإجماعِ، والقياسِ... إلخ، وكيفيَّةِ دلالاتِها اللَّفظيةِ والحُكميَّةِ؛ من أَمرٍ، وَنَهيٍ، وعامٍّ، وخاصٍّ... إلخ.

«ملحوظةٌ»: غالبُ علماءِ الأصولِ؛ من أَهلِ الكلامِ؛ بلا مَلامٍ!

٦- الواعِظُ: منوطٌ به علمُ التَّذكيرِ بآلاءِ اللهِ: كخلقِ السَّمواتِ والأَرَضِين، وإلهامِ العبادِ ما ينبغي لهم، وبيانِ صفاتِ اللهِ القوليةِ، والفعليةِ، والذَّاتيةِ، والتَّذكيرِ بِأيَّامِ اللهِ القادماتِ، والجنَّةِ والنَّارِ وغيرِ ذلك[١].

---

(١) انظر: كيفَ تصنِّفُ أو تؤلِّفُ؟ - منتدياتُ شبكةِ الحَزْمِ الإسلاميةِ لأبي حامدٍ السَّفَارينيِّ.

مـا أحسـنَ القـولَ فيمـا أنـتَ تُحْسِـنُهُ		لا يُـتْقِنُ القـوسَ إلا كَـفُّ باريهـا[(١)]

ثانيًا: تَخَيُّرُ الوقتِ المناسِبِ والحرصُ على الأوقاتِ:

خُذْها ابنةَ الفِكْرِ المهذَّبِ في الدُّجى		واللَّيـلُ أسـودُ رقعـةِ الجلبـابِ[(٢)]

أَنْسَبُ أوقاتِ الكتابةِ حين تكونُ النفسُ مرتاحةَ البالِ، خاليةً من الهمومِ، بعيدةً عن الغمومِ.

وأنا أوصيك أَنْ تَأْخُذَ لنفسِكَ قِسْطًا من الراحةِ، وتنامَ جيِّدًا، وتحافِظَ على قيلولتِكَ، ففي المرحلةِ التي تَعْقِبُها، يكونُ الدماغُ في أحسنِ حالاتِهِ، فيُطلقُ ملكةَ الإبداعِ؛ لتكتُبَ ما يحلو لك كتابتُهُ، قال بعضهم: «إذا كان وقتُ السَحَرِ اطْرُقْ عليَّ بابي تعرِفْ موضِعَ رَأْيِي».

وأَوصَى أبو تمامَ تلميذَهُ البحتريَّ بوصيةٍ جامعةٍ لهذا المعنى؛ يقولُ البحتريُّ: «كُنتُ في حَداثَتي أرُومُ الشِّعْرَ، وكنتُ أَرْجِعُ فيهِ إِلَى طَبْعٍ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى تَسْهيلِ مَأْخَذِهِ، ووجُوهِ اقْتِضابِه، حتى قصدتُّ أبا تَمَّامٍ، وانقطعتُ فيه إليه، واتَّكَلْتُ في تَعريفِهِ عليه؛ فكانَ أَوَّلَ ما قال لي: يا أبا عُبادة؛ تخيَّرْ الأوقاتَ وأنت قليلُ الهُمومِ، صِفْرٌ من الغُمومِ. واعْلَمْ أَنَّ العادةَ جَرَتْ في الأوقاتِ أن يقصدَ الإنسانُ لتأليفِ شَيْءٍ أو حِفْظِه في وَقْتِ السَّحَرِ؛

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنا - حَفِظَهُ اللهُ -.

(٢) ديوان أبي تمام (٢٩).

وذلكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحةِ، وقِسْطَهَا مِنَ النَّوْمِ...»[1].

تنْبِيْهٌ حولَ تقسيمِ الوَقْتِ:

يَقِظٌ يُنَبِّهُ كامناتِ خِصالِهِ   تَنْبِيْهَ معرفةٍ وخُبْرٍ واسِعِ

أُخْبِرُكَ أَنَّهُ يَحْسُنُ أَنْ تُقَسِّمَ وَقْتَك إلى قِسمين:

القِسْمُ الأَوَّلُ: وَقْتُ التأليفِ والكتابةِ.

والقِسْمُ الثاني: وقتٌ للقراءةِ في المراجعِ سِيَّما فيما يَتَعَلَّقُ بالبَحْثِ.

وهذا القسمُ الثاني تَتَوارَدُ فِيْهِ الخواطِرُ وتَزْدَادُ كُلَّما وَقَفْتَ على فائدةٍ نفيسةٍ وهكذا وكلَّما خَطَرَتْ لك خاطرةٌ جديدةٌ فإنها تَحُلُّ في فِكرِكَ مَحَلَّ أُخْتِها وهكذا فلا تستفيدُ مِنْ توارُدِ الخواطِرِ إذا لم تُقَيِّدْها في حينِها.

وقُلْ مِثْلَ ذلك في توارُدِ الفوائِدِ في غيرِ مراجعِ البَحْثِ وقد يَنْقَدِحُ في ذِهْنِكَ ما يأتي:

١- حَذْفُ حَشْوٍ.

٢- تَعْدِيلُ عبارةٍ.

٣- تغييرُ ترتيبٍ.

٤- تَذَكُّرُ فائدةٍ مَرَّتْ بِكَ.

٥- تذكُّرُ مسائِلَ لم يَتِمَّ تدوِيْنُها.

---

(١) محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيقٍ القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (٢/ ١١٤ - ١١٥).

٦- صياغةُ أسلوبٍ أَجْمَلَ.

وغيرُ ذلك مما يَخْدُمُ البَحْثَ.

ومتى أَجَّلْتَ الكتابةَ دقائِقَ لن تَظْفَرَ بها؛ لِأَنَّ الباحِثَ متى أَخْلَصَ في بحثِهِ فإنَّ الخواطِرَ كأسرابِ الظِّباءِ فلا يَكُنْ حالُك.

تكـــاثَرَتْ الظبـــاءُ علـــى خُـــراشٍ فمـــا يَـــدْرِي خُـــراشٌ مـــا يَصِـــيْدُ

ولْيَكُنْ حالُكَ:

وإِنْ كنـــتُ لا أرمـــي الظِّبـــاءَ فـــإِنَّني أَدُسُّ لهـــا تحـــتَ التُّـــرابِ الـــدواهيا

وأُوصيك أَنْ تَسْتَصْحِبَ قلمًا وكناشًا «كراسةٌ صغيرةٌ» لِيَحْصُلَ المسارعَةُ إلى تقييد ما يَنْقَدِحُ في الذِّهْنِ حين جريانِهِ في الخاطرِ وتقييدُ ما يَمُرُّ بك حالَ القراءةِ في المراجعِ أو في غيرِها وغالبًا ما تكونُ الخَواطِرُ نتيجةَ قراءةٍ قديمةٍ؛ لِأَنَّ الشيءَ بالشيءِ يُذْكَرُ.

فاللهَ اللهَ لا أحتاجُ أَنْ أُوصِيكَ أَكْثَرَ من قولِ الشاعِرِ:

العلـــمُ صـــيدٌ والكتابـــةُ قَيْـــدُهُ قَيِّـــدْ صُـــيُودَكَ بالحِبـــالِ الواثِقَـــةْ

فَمِـــنَ الحماقـــةِ أَنْ تَصِـــيْدَ غزالـــةً وتَرُدَّهـــا بـــين الخلائِـــقِ طالِقَـــةْ

ثالثًا: العنايةُ بالألفاظِ انتقاءً وإيجازًا:

١- اِحْرِصْ على انتقاءِ الألفاظِ:

مصــقولةَ الألفــاظِ يلقاهــا الفتــى   مِــنْ كُــلِّ جارحــةٍ بسَــمْعٍ واعِ(١)

على الكاتِبِ انتقاءُ الألفاظِ السهلةِ المُسْتَعْذَبَةِ؛ فإنَّ الألفاظَ المستعذبةَ هي التي تستهوِي القارئَ، وتَشُدُّ انتباهَهُ، ولها تأثيرٌ بالغٌ يعرف ذلك صغارُ الطلَّابِ قبلَ كبارِهم.

قال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومَنْ له أدنى بصيرةٍ يعلمُ أَنَّ للألفاظِ في الأُذُنِ نغمةً لذيذةً كنغمةِ أوتارٍ، وصوتًا مُنكرًا كصوتِ حِمارٍ، وأَنَّ لها في الفَمِ أَيْضًا حلاوةً كحلاوةِ العَسَلِ، ومرارةً كمرارةِ الحَنْظَلِ، وهي على ذلك تجري مجرى النَّغَماتِ والطُّعومِ»(٢).

وقال: «اعلمْ أَنَّ الألفاظَ تجري من السمعِ مجرى الأشخاصِ من البَصَرِ، فالألفاظُ الجَزِلَةُ تُتَخَيَّلُ في السمعِ كأشخاصٍ عليها مهابةٌ ووقارٌ، والألفاظُ الرقيقةُ تُتَخَيَّلُ كأشخاصٍ ذوي دماثةٍ ولينِ أخلاقٍ ولطافةِ مزاجٍ، ولهذا ترى ألفاظَ أبي تمامَ كأَنَّها رجالٌ قد رَكِبوا خيولَهم، واسْتَلْأَموا سلاحَهم، وتأهَّبوا للطِّرادِ، وترى ألفاظَ البُحتريِّ كأَنَّها نساءٌ حِسانٌ عليهِنَّ غلائِلُ مُصَبَّغاتٌ وقد تَحَلَّيْنَ بأصنافِ الحُلِيِّ، وإذا أنعمتَ نظرَكَ فيما ذَكَرْتُهُ ههنا وجَدْتَنِي قد دَلَلْتُكَ على الطريقِ، وضَرْبُ لك أمثالًا مناسبةً»(٣).

قال الثعالبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

سـبحانَ ربـي - تبـارَكَ اللهُ - مـا   أَشْـبَهَ بعـضَ الكـلامِ بالعَسَـلِ

---

(١) ديوانُ ابنِ عنينَ (٢٥).

(٢) المَثَلُ السائِرُ (١/ ١٥٦).

(٣) المرجِعُ السابِقُ (١/ ١٨١).

والــدرِّ والســحرِ والرقــى وابنــةِ الــ كَــرْمِ وحلــيِ اللســانِ والحُلَــلِ(١)

وقال الصاحبُ بنُ عَبَّادٍ رَحِمَهُ اللهُ:

بــاللهِ قُــلْ لــي أقرطــاسٌ تَخُــطُّ بــه مــن حُلَّــةٍ هــو أَمْ أَلبَسْــتَهُ حُلَــلا

بــاللهِ لفظُــكَ هــذا ســالَ مــن عَسَــلٍ أم قــدْ صَــبَبْتَ علــى أفواهِنــا عَسَــلا

٢ - البعدُ عَنْ أَلفاظِ التَّعالِي وِكِبَرِها:

ومضـــمخٍ بالمِسْـــكِ في وَجَناتِـــهِ حَسَــنِ الشــمائلِ ســاحِرِ الألفــاظِ(٢)

الألفاظُ تفصِحُ عن تواضُعِ الكاتِبِ وكِبْرِهِ.

فألفاظُ المتواضِعِ: كنساءٍ أبكارٍ يَمْشِينَ على استحياءٍ، تكادُ إحداهُنَّ أن تَسْقُطَ على الأرضِ من شِدَّةِ الحياءِ؛ فالنفوسُ إليهِنَّ تائقةٌ، والقلوبُ وامقةٌ، والعيونُ رامقةٌ، والأرواحُ عاشقةٌ.

وألفاظُ المتكبرِ: كنساءٍ غُجَرٍ ثيِّباتٍ مسترجلاتٍ؛ يضربْنَ الأرضَ بأقدامِهِنَّ ضربَ الشُّرَطِ، ويحرِّكْنَ أيدِيَهُنَّ وصدورَهُنَّ تحريكَ العِلْجِ؛ فلا النفوسُ تشتاقُ لَهُنَّ، ولا القلوبُ تَحِنُّ إليهِنَّ.

ومِنْ ألفاظِ الكِبْرِ ما ذَكَرَهُ ابنُ القَيِّمِ في كتابِهِ «زادُ المَعَادِ»: «وَلْيَحْذَرْ كُلَّ الحَذَرِ من طُغيانِ (أنا، وَلِي، وعِنْدِي)، فإنَّ هذِهِ الألفاظَ الثلاثةَ؛ ابْتُلِيَ بِهَا إبليسُ، وفرعونُ، وقارونُ.. فـ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ لإبليسَ، و﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ لفرعونَ، و﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ

(١) أحسنُ ما سمعتُ (٢٨).

(٢) ديوانُ أبي تمامَ (٦٣٦).

عِندِيَ ﴿ لقارونَ»[١].

أُنَبِّهُ إلى اجتنابِ صيغةِ الأمرِ والنهيِ، في الكتابةِ، أو الخطابةِ، وما جرى مجرى ذلك؛ لِأَنَّهُ سَوْطُ وليِّ الأمرِ مع رعيتِهِ، والأبِ مع أهلِهِ وأولادِهِ.

يـا رُبَّ معنـىً بعيـدِ الشـأو أسـلُكُهُ   في سـلكِ لفـظٍ قريـبِ الفهـمِ مختصـرِ
لفظًـا يكـونُ لعِقْـدِ القـولِ واسـطة   مـا بـينَ منزلـةِ الإسـهابِ والخَصَـرِ[٢]

٣ - الاختصارُ:

ويَجْـــــذِبُني كتابُـــــكَ إذْ أراهُ   قليـــلَ اللفْـــظِ متَّســـعَ المعـــاني[٣]

عليك بالاختصارِ؛ فإنَّ أكثرَ ما عليه الناسُ في «البلاغةِ» «الاختصارُ، وتقريبُ المعنى بالألفاظِ القِصارِ» وقد سُئِلَ بعضُهم عن البلاغةِ فقال: «هي لمحةٌ دالَّةٌ». هذا مذْهَبُ العربِ، وعادتُهم في العبارةِ، فإنهم يشيرون إلى المعاني بأوجزِ إشارةٍ! ويَسْتَحِبُّون أن تكونَ الألفاظُ أقلَّ من المعاني في المقدارِ والكَثْرةِ»[٤].

قال عمرو بنُ بحرٍ الجاحِظُ: «دَرَجَتْ الأرضُ من العربِ والعَجَمِ على إيثارِ الإيجازِ، وحَمْدِ الاختصارِ، وَذَمِّ الإكثارِ والتَّطويلِ والتكرارِ، وكلِّ ما فَضُلَ عن

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٤٣٤).
(٢) ديونُ التهاميِّ (٩٤ - ٩٥).
(٣) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -.
(٤) الإعجازُ والإيجازُ (٦).

المقدارِ»[١].

ولك أَنْ تنظرَ لأهلِ زمانِك؛ هل لهم همةٌ لتجريدِ القصارِ فضلًا عن الطوالِ كما كان عليه السلفُ، فإذا لم تَجِدْ ذلك فلا ترهِقْهُم.

وأنا أُحذرُك الاختصارَ المُخِلَّ؛ فأنه مظنَّةُ الخيْبَةِ، قال عمرو بنُ مسعدةَ: «إذا كان الإكثارُ أبلغُ كان الإيجازُ تقصيرًا، وإذا كان الإيجازُ كافيًا كان الإكثارُ عيًّا»[٢].

وجاء في «أدبِ الكاتبِ»: «والذي عندي أنه يحتاجُ الكاتبُ والخاطِبُ والشاعرُ، إلى أَنْ يخرجوا معانِيَهم في أقواتِها من الألفاظِ، على الاختصارِ، ما لم يُحْتَجْ إلى إكثارٍ، فإن احتيجَ إلى ذلك جيءَ به بما لا بُدَّ منه»[٣].

وحديثُها السِّحرُ الحلالُ لو أَنَّه ... لم يَجْنِ قتلَ المسلمِ المتحرِّزِ
إن طالَ لم يُمْلَل وإن هي أوجزَتْ ... ودَّ المحدِّثُ أَنَّها لَمْ تَوجزِ[٤]

٤ - تَحْسِيْنُ الكتابةِ:

كاتبٌ مُحْسِنُ البيانِ صِناعُهْ ... استخَفَّ العقولَ حِيْنًا يَراعُه[٥]

الناسُ يتأنَّقونَ في البنيانِ ويتفنَّنون في بناءِ الحدائِقِ والمتنزَّهاتِ، أملًا في جَذْبِ الزبائِنِ، ولَفْتِ الأنظارِ، ورضا الناسِ وراحَتِهِمْ؛ أفلا نكونُ - نحنُ - أربابُ الأقلامِ

(١) رسائلُ الجاحِظِ (٤/ ١٥١).
(٢) أمالي القالي (١/ ٢٢٢).
(٣) أدبُ الكاتبِ للصوليِّ (٢٢٩).
(٤) أمالي القالي (١/ ٨٤).
(٥) ديوانُ أحمد شوقي (٤٤٩).

وأصحابُ الكلماتِ أولَى مَنْ يَتَفَنَّنُ بانتقاءِ الكلماتِ، وبراعةِ اللفظِ وحُسْنِ الطرحِ، وجمالِ الأسلوبِ؛ طلبًا لرضا القارئِ الكريمِ؛ فيَجِدُ في بُستَانِ العلمِ وحَقْلِ المعرفةِ، ما يُريحُ الخاطِرَ، ويُبْهِجُ القلبَ، ويُسْعِدُ النَّفْسَ.

يقولُ الحَسَنُ بنُ بِشْرٍ الآمديُّ:

«إنَّ حُسْنَ التأليفِ وبراعةَ اللفظِ يزيدُ المعنى المكشوفَ بهاءً وحُسْنًا ورونقًا؛ حتى كأنَّهُ قد أحدثَ فيه غرابةً لم تَكُنْ، زيادةً لم تُعْهَدْ»[1].

رابعًا: الأُسلوبُ:

١- اكتبْ بأسلوبِكَ:

أحْكَمْتَ من لغةِ البيانِ أصولَها   وجمالَ أسلوبٍ أَغَرَّ مُبينِ![2]

هيهاتَ هيهاتَ أَنْ يَجْرِيَ قلمُكَ في ميدانِ البيانِ بغيرِ عِنانٍ تتقدَّمُهُ العباراتُ الرائقةُ، والمعاني الشيِّقةُ؛ حتى تكتبَ على سجيَّتِكَ، غيرَ مُقَلِّدٍ لغيرِك؛ فالتقليدُ قيدٌ يَحُدُّ من انطلاقِكَ، وكم من أصواتٍ بحَّتْ، وهي تنادي بِكسْرِ قيودِ التقليدِ، ولكن لا حياةَ لِمَنْ تنادي.

ومتى رأيتَ في كتابتِكَ تكلُّفًا، وفي أسلوبِك تصنُّعًا فاعلمْ أنك مربوطٌ فيك سِحْرُ التقليدِ.

٢- اكْتُبْ بعواطِفِكَ:

---

(١) «تاريخُ البلاغةِ» مازنُ المباركُ (١٠٠).

(٢) ديوانُ سحنونَ رَحِمَهُ اللهُ (١/ ٢٥١).

وكــأنَّ قلبَــكَ حــينَ تَكْتُــبُ نــاطقٌ يُمْلـي وكــفٌّ كاتــبٌ ويــراعُ(١)

العاطفةُ المُتَدَفِّقَةُ، روحُ الكتابةِ وقِوامُ حياتِها، ولن تَمْلِكَ زمامَ الكتابةِ؛ حتى تبعثَ الروحَ في كلِّ كلمةٍ تَخُطُّها بنانُكَ، وتضعَ اللمسةَ الحانيةَ على الحروفِ؛ ولا يكونُ ذلك إلا بحضورِ قلبِكَ، إخلاصِكَ، صدقِكَ، حُبِّكَ، حنانِك، قناعتِك بما تَكْتُبُ؛ فمتى غابَ عنك ذلك كلُّهُ لحظةَ الكتابةِ؛ فأَجْزِمُ أَنَّ الكتابةَ جسدٌ بلا روحٍ.

ولا تذهبْ بعيدًا فيذهَبَ روحُ الكتابةِ حيث ذَهَبْتَ؛(٢) بل ظَلَّ مع القارئ كأَنَّهُ ماثلٌ أمامَك، حتى آخِرِ كلمةٍ، تَبُثُّه نجواكَ؛ كأَنَّهُ حبيبٌ، لا حبيبَ لك سواهُ، وإذا شعرْتَ بفتورِ العاطفةِ فأمسِكْ، حتى تَجِدَ من نفسِكَ نشاطًا.

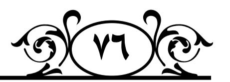
واعلمْ، أن غالبَ مَنْ يقرأُ اليومَ نِسبَةُ العاطفةِ عندَهم مرتفعةٌ؛ لهذا تجدُهم يَبْحَثون عن كاتبٍ يوافقُ تطلُّعاتِهم ورغباتِهم؛ فإذا حَظَوْا بهذا النوعِ، أناخوا عنده رَحْلَهُمْ، وتَخالُهُمْ يتابعون إصداراتِهِ؛ نظرًا لتعلُّقِهم بهذا الفَنِّ الجميلِ من الكتابةِ.

عِــشْ بالشُّــعورِ وللشُّــعورِ فإنَّمــا دنيــاكَ كــونُ عواطــفٍ وشــعورِ
شِـيدَتْ علـى العطْـفِ العميـقِ وإنَّهـا لتجــفُّ لــو شِــيدتْ علــى التفكيــرِ
وَتَظَــلُّ جَامِــدَةَ الجمــالِ كئيبــةً كالهيكــلِ المتهــدِّمِ المهجــورِ
وتَظَــلُّ قاســيةَ الملامــحِ جهمــةً كــالموتِ مُقْفِــرةً بغيــر ســرورِ

---

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -.

(٢) لا يَحْسُنُ بالكاتِبِ أن يُرَكِّزَ على الأخطاءِ الإملائيةِ، والنحويةِ، أثناءَ الكتابةِ فالمُهِمُّ أن يَظَلَّ مَنْسَجِمًا مع القارئِ، بروحِهِ، وقلبِهِ، ثم ينظرُ في الأخطاءِ ويَتَجَمَّلُ ويُحَسِّنُ ويقدِّمُ ويؤخِّرُ وصولًا إلى التمامِ.



لا الحــبُّ يــرقُصُ فوقهــا متغنِّيًــا   للنَّــاسِ بــين جَــداولٍ وزهــورِ(١)

٤- الابْتِكارُ:

ينبغي أَنْ تكونَ أساليبُ الكتابةِ، ووسائِلُها مُتجدِّدَةً فَتُكْتَبُ بأسلوبِ العَصْرِ ولُغَتِهِ.

فالذي يَكْتُبُ بطريقةٍ واحِدةٍ يَجِدُ من القارئ المَلَلَ والفُتُورَ.

والتَّنْويْعُ في الكتابةِ يَبْعَثُ في النَّفْسِ روحَ النشاطِ فَيَجِدُ من القارئِ قبولًا وتفاعُلًا.

وتنمو مَلَكَاتُ الابتكارِ في ظِلِّ التَّحَرُّرِ من أَسْرِ التَّشَبُّهِ والمُحاكاةِ والتقليدِ.

٣- التوسُّطُ بين الإمتاع والإقناعِ:

عليــك بأوســاطِ الأمــورِ فإنَّهــا   نجاةٌ ولا تركَبْ ذَلولًا ولا صَعْبا(٢)

قد تَشْرَعُ في الكتابةِ، وليس لك هَمٌّ غيرُ الإقناعِ فتُسارِعُ إلى حَشْدِ أدلةِ: النقلِ، والعقلِ، والإجماعِ، والفطرةِ؛ وهذا أمرٌ مطلوبٌ لا شَكَّ؛ لكنْ قد يُسَلِّمُ لك القارئُ من الناحيةِ العقليةِ، ثم يبقى في نفسه شيءٌ؛ لِأَنَّهُ لم يَجِدْ في كتابِك ما يروي عواطفَهُ من الإمتاعِ المطلوبِ وهذا - لَعَمْرِي - حالُ أكثرِ الناسِ إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ؛ لهذا كان الجمعُ بين الإقناعِ، والإمتاعِ، بينَ خِطابِ العَقْلِ، والعاطفةِ في وقتٍ واحدٍ، من صفاتِ الكاتبِ الناجحِ.

---

(١) ديوانُ أبي القاسِم الشابيِّ (٦٧).

(٢) أحسنُ ما سمِعْتُ للثعالبيِّ (٨٨).

٥- لِكُلِّ مقامٍ مقالٌ:

تحـنَّنْ علـيَّ هَـدَاكَ المليـكُ ... فـإِنَّ لكـلِّ مقـامٍ مَقـالا[(١)]

لكلِّ مقامٍ مقالٌ فمقامُ الرِّفْقِ كالترغيبِ تناسِبُهُ الكلماتُ الرقيقاتُ ومقام الشدةِ كالترهيبِ تناسِبُهُ الكلماتُ الجَزلَةُ؛ قال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللهُ: «الألفاظُ تَنْقَسِمُ في الاستعمالِ إلى جَزلَةٍ ورقيقةٍ، ولكلٍّ منهما موضِعٌ يَحْسُنُ استعمالُهُ فيه.

فالجَزلُ منها يُسْتَعمَلُ في وصْفِ مواقِفِ الحروبِ، وفي قوارعِ التهديدِ والتخويفِ، وأشباه ذلك.

وأما الرقيقُ منها فإنه يُسْتَعْمَلُ في وصفِ الأشواقِ وذكرِ أيامِ البِعادِ، وفي اسْتجلابِ المودَّاتِ، وملايناتِ الاستعطافِ، وأشباهِ ذلك.

ولستُ أعني بالجَزلِ من الألفاظِ أَنْ يكونَ وحْشِيًّا متوعِّرًا عليه عنجهيَّةُ البداوةِ، بل أعني بالجَزلِ أن يكونَ متينًا على عذوبتِهِ في الفَمِ ولذاذتِهِ في السمعِ، وكذلك لستُ أعني بالرقيقِ أن يكونَ ركيكًا سَفْسَفًا، وإنما هو اللطيفُ الرقيقُ الحاشيةِ الناعِمُ الملمَسِ.

فمثالُ الأولِ: وهو الجَزلُ من الألفاظِ - قولُهُ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [٦٨ - ٧٠].

وأما مثالُ الثاني: وهو الرَّقِيقُ الألفاظِ - فقولُهُ تعالى في مخاطبةِ النبي - ﷺ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ إلى آخرِ السورةِ، وكذلك

(١) الكاملُ في الأدبِ (٢/ ١٤٨).

قولُهُ تعالى في ترغيبِ المسألةِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(١).

ويعجبني الذي يقول:

قاسَ المعاني على الألفاظِ فانْطَبَقَتْ وخَصَّ كلَّ مَقامٍ بالذي يَجِبُ

٦ - اكتبْ كُلَّ فنٍّ بطريقةِ أهلِهِ:

تاللهِ لو كان الكرامُ بلاغةً كان الكريمُ المعجزَ الأُسلوبِ

قبلَ أَنْ تكتُبَ تأمَّلْ أسلوبَ من سَبَقَكَ تَجِدْ لِكُلِّ فَنٍّ أسلوبًا خاصًا.

فالكتابُ إِنْ كان حديثيًّا فيمكنُ أَنْ تستخدمَ فيه أسلوبَ أهلِ الحديثِ.

وَأمَّا إن كان الكتابُ فقهيًّا؛ فتستخدمُ فيه أسلوبَ أهلِ الفِقْهِ.

وإنْ كانَ الكتَابُ عقائديًّا؛ فتنظرُ إلى أسلوبِ كُتُبِ العقائِدِ.

وإن كانَ الكتابُ نحويًّا؛ فتستخدمُ أسلوبَ أهلِ النحوِ.

ويمكنُكَ أن تَنْظُرَ في أيِّ مرجَعٍ من المراجِعِ الحديثيِّةِ، أو الفقهيَّةِ، أو العقديَّةِ، أو النحويةِ؛ ثم تعملُ الكتابَ على نَسَقِهِ.

وهكذا في بقيةِ الفُنُونِ.

---

(١) المَثَلُ السائرُ (١/ ١٧٣ - ١٧٤).

خامسًا: الحَذَرُ ممَّا يُشَوِّهُ التأليفَ:

هناكَ أمورٌ قد تَتَسَبَّبُ في تشوِيْهِ التأليفِ.

١- العَجَلَةُ:

اصبرْ على قُحَمِ النَّوائبِ مثلَ ما ... صَبَرَتْ لها آباؤك الأشرافُ[1]

قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «تصنيفُ العالِمِ وَلَدُهُ المُخَلَّدُ»[2].

وكان شيخُنا الوادعيُّ رَحِمَهُ اللهُ يقولُ: «إني لَأَفْرَحُ بالكتابِ يخرجُ أعظمَ من فرحي بالولَدِ».

فمن الطبيعيِّ أَنْ تكونَ مملوءًا بالحماسِ، راغبًا في رؤيةِ مولودِك الذي - طالما - انتظرتَهُ طويلًا ليرى النورَ؛ ولكن بقليلٍ من الصبرِ حتى تُصْلِحَ الكتابَ وَتُزَيِّنُهُ وتجمِّلَهُ وتَعْرِضَهُ على غيرِك من أهلِ الخبرةِ، «فالمتصفحُ للكتابِ أبصرُ بمواقِعِ الخللِ من مَنْشَئِهِ» كما قال الصوليُّ[3].

وقال بعضُ رؤساءِ الكتابِ: «ليس أَحَدٌ أولى بالأناةِ والرويَّةِ من كاتبٍ يَعْرِضُ عَقْلَهُ، وَيَنْشُرُ بلاغَتَهُ؛ فينبغي له أَنْ يعملَ النسخَ، ويقبلَ عَفْوَ القريحةِ، ولا يستكرهَها، ويعملَ على أنَّ جميعَ الناسِ أعداءٌ له، عارفون بكتابِهِ، منتقدون عليه،

---

(١) الأشباهُ والنظائِرُ (١٢٥).

(٢) صيدُ الخاطِرِ (٤٣).

(٣) الإعجازُ والإيجازُ (١١١).

متفرِّغون إليه»(١).

وقال آخرُ: «إن لابتداءِ الكلامِ فتنةً تروقُ، وجدةً تُعجبُ، فإذا سكنتْ القريحةُ، وعدلَ التأملُ، وصفتْ النفسُ فليُعدْ النظرَ، وليكُنْ فرحُهُ بإحسانِهِ مساويًا لغَمِّهِ بإساءتِهِ»(٢).

وقال العمادُ الأصفهانيُّ: «رأيتُ أنه لا يكتبُ إنسانٌ كتابًا في يومِهِ إلا قال في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكانَ أَحْسَنَ، ولو زِيدَ كذا لكانَ يُسْتَحْسَنُ ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضلَ ولو تُرِكَ هذا لكانَ أجملَ وهذا من أعظمِ العِبَرِ، وهو دليلٌ على استيلاءِ النَّقْصِ على جملةِ البَشَرِ»(٣).

٢- ذَوَبَانُ الشَّخْصِيَّةِ:

شخصيةُ الإنسانِ سِرُّ وجودِهِ ... وبدونِها ينهارُ من عليائِهِ(٤)

الكاتبُ ذو الشخصيةِ البارِزةِ المستقلَّةِ، لا يرضَى بالتقليدِ الكاملِ، أو أَنْ يصوغَ فكرتَهُ على منوالِ فكرة سَبَقَ إعدادُها، دونَ أن يُضِيْفَ إليها، أو يَنْحُوَ بها منحىً آخَرَ، أو يعالِجَها معالجةً مختلفةً.

---

(١) زَهْرُ الآدابِ للحُصْرِّي القيروانيِّ (١٥٤ - ١٥٥).

(٢) المرجِعُ السابقُ (١٥٤ - ١٥٥).

(٣) محاضراتُ الأدباء (١/ ١٢).

(٤) ديوانُ أحمد سحنونَ رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ١١٤).

٣- الإخلالُ في الأمانةِ العلميةِ في النُّقُولاتِ:

الأمانةُ العلميةُ تقتضي نِسْبَةَ كُلِّ قولٍ إلى قائِلِهِ، وكلِّ جُهْدٍ إلى باذِلِهِ وإلَّا كان مُتَشَبِّعًا بما لم يُعْطَ.

فعن أسماءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ امرأةً قالتْ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ لي ضُرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ من زوجي غَيْرَ الذي يُعطيني؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**المُتَشَبِّعُ بما لَمْ يُعْطَ كلابِسِ ثوبَيْ زُوْرٍ**»[1].

وقد تُنُوقِلَتْ كلمةٌ عُدَّتْ مثلًا: «مِنْ بَرَكَةِ العلمِ وشُكرِهِ عَزْوُهُ إلى قائِلِهِ»[2].

٤- الانشغالُ بالمُلْهِيَاتِ:

وَلا يُلْهِيكَ عَنْهُ أنيقُ رَوْضٍ ... ولا خَوْدٌ بزينَتِهَا كُلِفْتَا[3]

اِعْزِلْ نفسَكَ عن المُلْهِيات، كالهاتِفِ النَّقَالِ، وغيرِه من وسائِلِ التواصُلِ؛ ومواضِعِ الخُضْرةِ، والمُتَنَزَّهاتِ، وحركاتِ الناسِ؛ حتى لا تقطَعَ عليكَ أفكارَكَ، وسخِّرْ جُهدَكَ، ووَقْتَكَ للكتابةِ؛ فالكتابةُ لَنْ تُعْطِيَكَ بعضَها حتى تُعْطِيَها كُلَّكَ.

٥- الوقيعةُ في العلماءِ:

العلماءُ هم وَرَثَةُ الأنبياءِ فالوقيعةُ فيهم من أكبرِ الذنوبِ وفاعِلُ ذلك لا يُفْلِحُ أبدًا.

---

(١) رواهُ البخاريُّ (٥٢٢٩).

(٢) المُزْهِرُ (٢/ ٢٣١).

(٣) مجموعاتُ القصائِدِ الزهدياتِ (١/ ٧٦).

قال شارحُ الطحاويَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَيَجِبُ على كلِّ مسلمٍ بعد موالاةِ اللهِ ورسولِهِ موالاةُ المؤمنين، كما نَطَقَ به القرآنُ خصوصًا الذين هم وَرَثَةُ الأنبياءِ الذين جَعَلَهم الله بمنزلةِ النجومِ يُهْتَدَى بهم في ظلماتِ البرِّ والبَحْرِ، وقد أجمعَ المسلمون على هدايتِهم ودرايتِهم، فإنهم خلفاءُ الرسولِ في أُمَّتِهِ، والمُحْيُون لما ماتَ من سُنَّتِهِ، فبهم قامَ الكتابُ وبه قاموا، وبهم نَطَقَ الكتابُ وبِهِ نطقوا، وكلُّهم مُتَّفِقون اتفاقًا يقينًا على وجوبِ اتِّباعِ الرسولِ ﷺ، ولكنْ إذا وُجِدَ لواحِدٍ منهم قولٌ قد جاء حديثٌ صحيحٌ بخِلافِهِ فلا بُدَّ لَهُ في تركِهِ من عُذْرٍ».

وجِماعُ الأعذارِ ثلاثةُ أصناف:

أحَدُها: عَدَمُ اعتقادِهِ أن النَّبيَّ ﷺ قالَهُ.

والثاني: عَدَمُ اعتقادِهِ أَنَّهُ أرادَ تلك المسألةَ بذلك القولِ.

والثالثُ: اعتقادُهُ أَنَّ ذلك الحكمَ مَنْسوخٌ[١].

ويَحْسُنُ الترحُّمُ على العلماءِ عند ذكرِ اسْمِهِم أو النَّقْلِ عنهم، قال رِزْقُ التميميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَقْبُحُ بكم أَنْ تستفيدوا مِنَّا، ثم تذكرونا فلا تَتَرَحَّموا علينا»[٢].

٦- عَدَمُ الاستعدادِ النَّفْسيِّ:

مَنْ رامَ التأليفَ فعليه بالاستعداد النفسيِّ، ومن الاستعداد النفسيِّ أن يُوْلِيَ نظافةَ

---

(١) شرحُ الطحاويةِ لابنِ أبي العِزِّ الحنفيِّ (٤٩١).

(٢) سِيَرُ أعْلامِ النُّبلاءِ (١٨/ ٦١٣).

البَدَنِ والمكانِ عِنايةً بالغةً فيتنظف ويتطيب ويهتمَّ بِخِصالِ الفِطْرةِ والسواكِ، ويهيِّءَ مكانًا طيبًا نظيفًا ويستعملَ فيه الطيبَ أو البخورَ، وأن يبتعدَ عن المشاكِلِ والمُكَدِّراتِ، والمُنَغِّصاتِ، وأن يهتمَّ بِصِحَّتِهِ بتناولِ الطعامِ الصحيِّ وممارسةِ الرياضةِ ولو لدقائقَ معدودةٍ ويعطيَ نفسَه حَظَّها من الراحةِ.

وقد يَظُنُّ ظَانٌّ أنَّ هذا تَكَلُّفٌ لا داعِيَ له، والحقيقةُ أن التأليفَ كما يُقالُ معاناةٌ ولَذَّةٌ.

أما معاناةُ التأليفِ فمِنْ وجوهٍ كثيرةٍ منها: كدُّ الذِّهْنِ، ومعالجةُ العَزْوِ، والتأكُّدُ من صِحَّةِ المعلومةِ، وكَثْرَةُ المراجعةِ، والحَذَرُ من الزَّلَلِ، والحِرْصُ على إبرازِ الأفكارِ في مَعْرِضٍ حَسَنٍ، وثوبٍ مقبولٍ.

ومنها ما يَعْتري المؤلِّفَ من المَلَلِ والفتورِ، وصُدَاعِ الرأْسِ، وقِلَّةِ النَّومِ، وتَعَبِ الأعصابِ، وألآمِ المفاصِلِ والعينين، والانقطاعِ عن كثيرٍ من الملذَّاتِ والتقصِيرِ في بعضِ الحقوقِ؛ فهذه بعَضُ معاناةِ التأليفِ.

أما لَذَّتُهُ فتكْمُنُ بمناجاةِ الفِكْرِ، واصطيادِ الأوابِدِ، ومعرفةِ المؤلفين السابقين واللَّاحِقين، والتعودِ على طولِ النَّفَسِ، والحِرْصِ على الوصولِ إلى الحقائِقِ.

ومن أَعْظَمِ لَذَّاتِ التأليفِ:

استشعارُ نهايةِ البَحْثِ، والفَرَحُ بِطَبْعِهِ، ونَشْرِهِ، وإهدائِهِ، وانتفاعِ الناس به؛ فَإِنَّ نَفْعَ التصنيفِ كما يقولُ ابنْ الجوزيِّ أكثرُ مِنْ نَفْعِ التعليمِ بالمُشافهة؛ لِأَنَّ الإنسانَ يُشَافِهُ في عُمُرِهِ عَددًا من المتعلمين، ويشافِهُ بتصنيفِهِ خلْقًا لا يُحْصَون، وخلقًا لم يوجدوا

بَعْدُ، فيكونُ التأليفُ من الباقيات الصالحات.

وإنَّ لانتظارِ مَجيءِ الكتابِ من المطبعةِ فرحةً تُشْبِهُ فرحةَ انتظارِ المولودِ الجديد وتَكْمُنُ لذةُ التأليفِ كذلك باستجماعِ الخواطِرِ، والخلوةِ عن الناس(١).

فإذا كان الأَمْرُ كذلك فَيَحْسُنُ الاستعدادُ النَّفْسِيُّ ومنها ما تقدَّمَ ذكرُهُ من نظافةِ البَدَنِ والمكانِ.

(١) خواطِرُ للحَمْدِ (١٨٠).

خاتمةُ الكتابِ

وإذا افتتـــاحُ الأمــرِ راقــكِ حُسْــنُهُ فتبينـــي مـــاذا تكــونُ الخَاتِمَـــه[١]

بعد هذا التطوافِ معك في رياضِ الكتابةِ، سالكًا مسلَكَ الاختصارِ، لما عليه النفوسُ من مللِ الإكثارِ، وها أنا أكررُ على مسامعِك، أَنَّ الكتابةَ ليستْ كغيرِها من الفنونِ، التي لها قواعدُ وضوابطُ؛ وإنما تحتاجُ - فقط - إلى توجيهاتٍ ترشِدُ إلى ما ينهَضُ بها، ويزيدُها تألقًا، وقد فعلْتُ ما أخالُهُ كافيًا شافيًا، فَخُذْ نفسَك به، وعُدْ إليه بين الحين والآخَرِ، فَمَنْ يقرأُ الكتابَ الواحِدَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، خَيرٌ له من قراءةِ عَشراتِ الكتبِ كُلَّ كتابٍ مَرَّةً واحدةً، ويتأكَّدُ ذلك في الكتابِ الذي يطمَعُ أَنْ يَصِلَ به إلى مبتغاه.

وأرجو أَنْ أكونَ في بحثي هذا كما قِيْلَ: «قد وافَقَ الإِثْمِدُ الحَدَقَةَ، وشَنٌّ طَبَقَةَ».

وختامًا أستودعُك بهذا الدعاءِ:

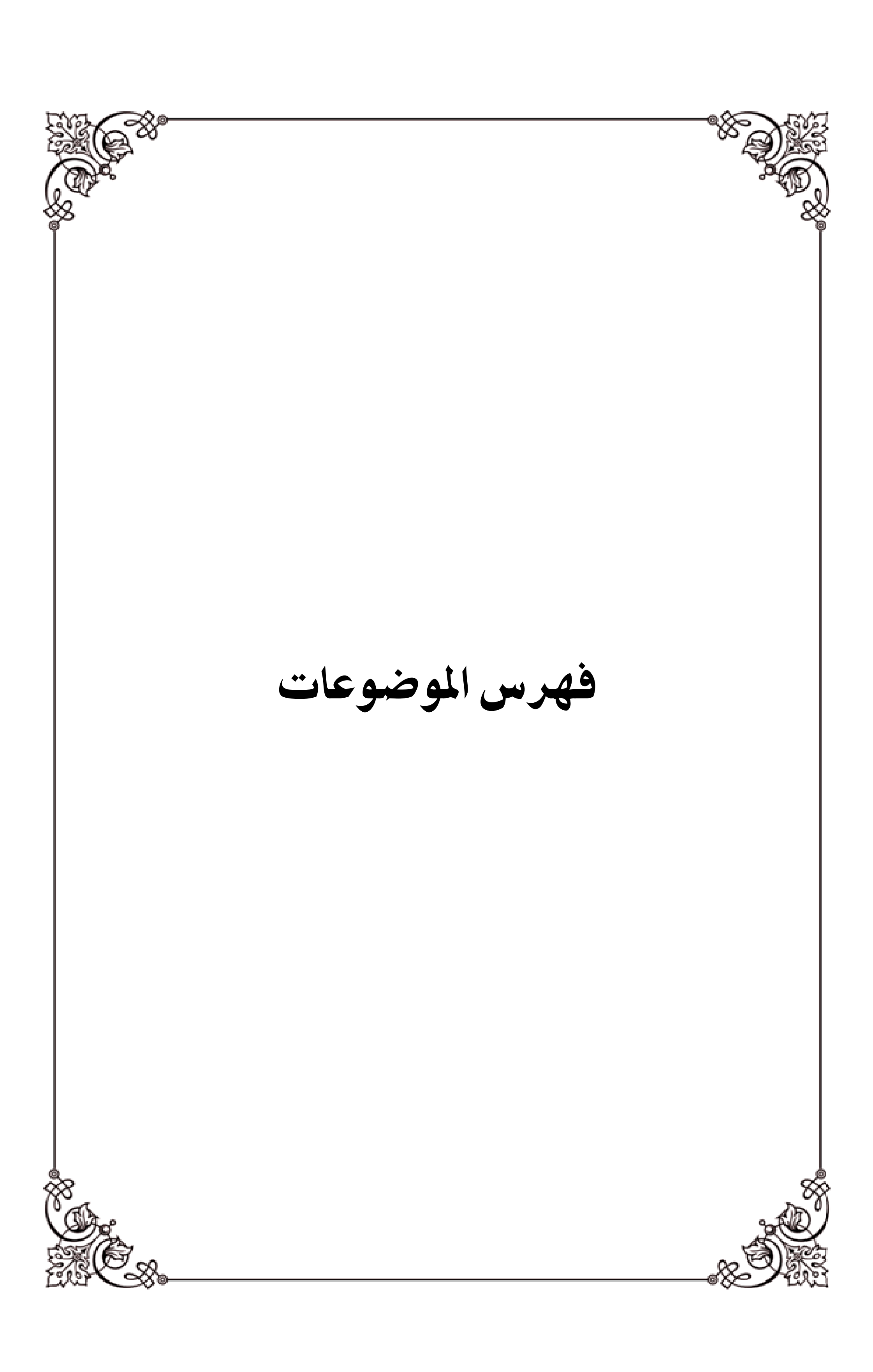
بقيـتَ مـدَّى الـدَّهرِ وعلمُـكَ راسـخٌ وخيـــرُكَ ممـــدودٌ وليلـــكَ عـــامرُ

يـــودُّ ســـناكَ البـــدرُ والبـــدرُ زاهـــرُ ويقفـو نـداك البحـرُ والبحـرُ غـامِرُ

وهنِّئْـــتَ أيامًـــا تـــوالَى نشـــاطُها كمـــا تتـــوالى في العُقُـــودِ الجَـــوَاهِرُ

---

(١) ديوانُ كشاجمَ (٤٣٢).



فهرس الموضوعات

الفهرس